ديوان عقل الجرّ

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

ديوان عقل الجر

ديوان عقل الجرّ

نشر وتوزيع

دار الثقافة

بيروت - لبنان

خط الشاعر بريشته

هذي الجهود بجودها قد هيمنت أنوار عبقر

الله دونه سبيله في غده اصبحه الكبر

خواطر عن اخي

بين ليلتين

هي ليلة اسودٌ شعرها وابيضٌ منديلها من ليالي كانون الثاني لعام ١٨٨٥ ، من مدينة « بيبلوس » الاسطورية المضطجعة على شاطىء بحر الروم من لبنان ، أطلّ على شفق الوجود طفل ذكر على محياه الجميل برقع شفاف[١].

فهتفت القابلة ، وهتف النسوة الواقفات من حولها بأمه وأبيه : انه برقع السعادة ، جعله الله من ابناء السلامة ...

بعد ستين سنة تعاقبت بنحوسها وسعودها . وفي ليلة زكا زمهريرها واصفرٌ وجهها من ليالي كانون الاول لعام ١٩٤٥ في مدينة سان باولو البرازيلية - رأينا هذا المولود نفسه الذي أطلّ على العالم يكلل جبينه برقع السعادة المزعوم ... منطرحاً على فراش الاحتضار وأصابع الموت تلملم عن وجهه برقع الحياة .

قصيرة كانت الخطوات التي زرعها اخي على شواطىء الدنيا . ولكنها طويلة بما تخللها من جهود مخفقة ، واشواق خائبة ، وذكريات لاهبة ، كان من امرّها وأحرّها على قلبه ذكرى فراقه لبلاده :

---

١ - يسميه العامة برنس الولادة

أكلُّ نصيبي من بلادي أن ارى   على « الشامة البيضاء » رسم خيالها
أحنُّ اليها والموانــع جمّةٌ   فمَن ذا منيلي ساعــة في ظلالها
فأحثو على وجهي رمال شطوطها   وألهبُ بالتقبيل ثلج جبالهـا

طالما حنَّ عقل الى لبنان واعتزم العودة اليه فكانت تصدف به عنه بواعث من نفسه وظروفه ، ناهيك بغوبات تستأثر احياناً بميول المرء وتتصرف بإرادته في عاصمة خلابة مثل ريو دي جانيرو توفرت فيها لمحبّي الحياة الطلية ألوان الترف ، وفي بـلاد واسعة الارجاء كثيرة منابع الثروة كالبرازيل هانت موارد العيش فيها . لاسيما لمن عرف انكماش الحياة في لبنان وما آلت اليه حاله بعد الحرب العالمية الاولى من اضمحلال الثروات الخاصة فيه الى الفوضى المتفشية بـين طبقاته حكومة وشعباً الى عوامل استعمارية وطائفية وتقليدية بما لم يعد يتفق والافق الطليق الحرّ الذي ألفه اديب طموح صريح المقال صادق العقيدة مثل عقل .

وهكذا قضاها ثلاث وثلاثين سنة يجتذبه الشوق الى بلاده واهله وتقعده عوامل سلف ذكرها فيلجأ الى يراعـه يبثه لواعج نفسه كما يلجأ الموسيقي الى اوتار كمنجته ينطقها بمكنونات قلبه شادياً او باكياً :

قل للنفوس اذا جاشت مطامعها   مهلًا فـان طموح المرء يرديه
المال والمجد والدنيـا برمّتها   ليست تساوي نزيزاً من مآقيه
ولستُ آسى على شيء أساي على   عمرٍ تصرّم في الهجران ابكيه
وما احتياجاً نزوحي كان عن وطني   لكنها نزوات الطيش والتيـه
لله لبنـان لو اني بقيتُ له   علّمتُ من فيه كيف الأسد تحميه

والحقيقة لو لم تغيّر الحرب العالمية الاولى مجرى خطوات عقل

وعاد من باريس الى لبنان لاستطاع أن يطبع اسمه في تاريخ بلاده بأحرف من نور .

ولو ُقدّر له من طباعه وأخلاقه أن تكون غير ما كانت ، لانقادت له الحياة على وجه آخر لم ُيحرم معه من نعمة العيش في وطنه .

وطنٌ بالعيون نسقي ثراهُ   ان توانى الغمام في إمطاره
إن حُرمنا من نعمة العيش فيه   لا حُرمنا من مرقدٍ في جواره

ولو شئتُ ان أقدّم صورة قلمية عن حياة اخي منذ فارق ربوع اهله وأنسه الى يوم قضى في ديار غربته لما استطعتُ ان آتي بصورة أبلغ وأصدق من هذه الابيات الشعرية التالية وقد رسم فيها نفسه وهواجس قلبه فجاءت كأنها نبوءة سبقت على لسانه السنين :

لملم النسر جانحيه وطارا   لا يبالي في سيره الإعصارا
ضاق لبنان وكنةٌ وسماءً   عن مراميه فامتطى الاقدارا
واذا ضاق موطن الحرّ بالحرّ   فما تنفع البسيطة دارا . . .

أسفاً للأديب فهو غريبٌ   قلق القلب أين حلّ وسارا
هدهدت نفسهُ الاماني كبارا   وبرَت عزمه الخطوب كبارا
غصّة تلو غصةٍ تلو أخرى   بين أضلاعه تؤجج نارا
لم ينلْ من حنينه المال والجاه   ولم ينسهِ الجمال الديارا
ساهد الجفن لا يلين بجنبيه   فراشٌ ولا يقرُّ قرارا
هو في غربة يجوّل فيها الشو   قُ أفراح قلبهِ اكدارا
وسيفني ايامهُ ولياليهِ   الى يومٍ في الثرى يتوارى

فطر عقل على الصدق والوفاء فجنى عليه صدقه ووفاؤه في بيئة بُليت بداءِ العصر فاستفحلت فيها أنانية الفرد والمجموع فكان الكذب والخداع من مستلزمات النجاح فيها وسيطرت النفعية على كل ما عداها من عواطف سامية في النفس البشرية فأدركه مرض الاشمئزاز من الناس فحسبوا ذلك كبرياءً فيه وإن هو في الواقع سوى ترفع اصيل في طبعه ينبو به عن المصانعة والتبذل ككل رجل يقيم لنفسه وزناً ويعرف لها معنىً . فاستحال عليه الاندماج المطلق بمجموعه كما استحال عليه الإثراء في هذا الجو الغريب . وغالباً ما تكون الثروة بنت الظروف الطارقة او هي رهينة بأخلاق المرءِ ونوع مزاجه وتلوُّن اساليبه . وله بذلك :

وروحتُ أخوض غمار الحياة ودون الحياة زحام البشر
أُجالد نفسي على أمرها وأسعى بعزمٍ يفتُّ الحجر
فاعثر بالمكر والاحتيال وأمنى على عفتي بالضرر
وازرعُ صدقاً فأحصد كذباً واسلف خيراً فأجزى بشر
وأربأ بالعيش أن يُجتنى بنهش الكلاب ووثب الهرر

وله : —

دعوني فودّ الناس خبٌّ مبادل تستره بالمطف مدنيّةُ العصرِ
اذا ما لبانات النفوس تعارضت تكشف عما جنّ منهتكَ السترِ

وبالرغم من هذا الوسط الذي دمغهُ بأبياته الآنفة فقد استطاع ان يستخلص من صميمه لفيفاً لائقاً لبث أفكاره الحرّة ومن هنا ظهرت فكرة تأسيس « النادي الفينيقي » على قاعدة اللاطائفية وجمع في عمدته نخبة هذا اللفيف العامل في حقل الكرامة الادبية والاجتماعية على رفع

مستوى الجالية فكان الوحيد من طرازه في مهاجر الضاد ايام كانت لا تزال أنديتنا وجمعياتنا أما تحمل اسماً طائفياً او اقليمياً لا ينمّ على مظهر اجتماعي عريق ومستوى ادبي رفيع فسدّ هذا النادي فراغاً كبيراً في حياة الفريق المتشوّق الى الكماليات عدّته الطبقة المثقفة فتحاً ادبياً واجتماعياً جليل الفائدة في حياتنا المادية الصرفة حاوب من وراء وجوده الجهل والتعصب في جالية قديمة الميول والانطباعات فاستطاع أن يلطف الكثير من انطباعاتها...

وكم تعرّض عقل لحملات بعضهم لمواقفه الوطنية الناصعة في حفلات النادي المتتابعة وقد جمع منبره صفوة المفكرين والادباء العرب في مهاجرنا أضف اليهم كرام الزائرين من عظماء الشرق والغرب أمثال الامير محمد علي ، وڤيلا سباسا كبير شعراء الاسبان ، ولودڤيكس شوانهاجن المؤرخ النمساوي الشهير ، وفيليب حتي ، وعبد الرحمن عزام وحبيب اسطفان وسواهم من كبار أدباء البرازيل ممن وجدوا في النادي مفخرة من مفاخر الناطقين بالضاد في المهاجر الاميركية وعنواناً لرقيهم .

كان عقل وطنياً صرفاً لا غش فيه وكان من همه أن يدخل على روع الفئة المتنورة من أبناء البرازيل شيئاً من تاريخ أمته فاتخذ من جريدة « الكورايو داماناي » بوقاً ينفخ فيه لدى المناسبات وجرت له مساجلات تاريخية عن فينيقيا مع بعض اعضاء المجمع العلمي وسواهم في هذه العاصمة كان فيها حليفه المنطق والاستنتاج التاريخي الراهن فتلقى رسائل الاعجاب من كبار المؤرخين والباحثين ولو جمعت مقالاته في البرتغالية بهذا الموضوع لجاءت كتاباً غنياً بالمعلومات القيّمة .

اما قصائده اللبنانية فهي اكثر مما نتصور وفي كل بيت من ابياتها اصابع تشير الى صدق وطنيته ومدى تقديره لتاريخ أمته وامتلاء قلبه بهذه العزّة القومية فاسمعه مفتخراً :

ألم نكن وعيون الشرق شاخصة — شعباً على صغره فاق الملايينا
ألم نكن وبحار الكون مسرحنا — نلقي على أيّها شئنا مراسينا
ألم نكن لبني الدنيا اساتذة — حتى حروف الهجا من صنع أيدينا
ألم نكن وجيوش الفتح مطبقة — من كل صوب نذود العرض والدينا
نحمي حمى الأرز لا الابطال تُرهبنا — ولا نهاب عديداً من اعادينا
إنا ثبتنا ثبات الأرز في جبل — قد جاور الله في اعلى عليينا
وارى الزمان شعوباً في غياهبه — وقصّرت يده عن ان توارينا
قل للأولى انتقصوا لبنان عن حسد — هل للزرازير أن تلحو الشواهينا
من هذّب اللغة الفصحى وجدّدها — وأوسع النظم والانشاء تحسينا
وسيّر الصحف في القطرين حاملة — من العلوم افانيناً افانينا
هذي مآثرنا ندلي بها حججاً — للجاحدي الفضل لا فخراً وتمتينا

للأرز عطف على مصر على بردى — على مرابع جيران ميامينا
خير الجوار جوار تستزاد به — أواصر الودّ إحكاماً وتمكينا

وفي هذين البيتين الاخيرين تتلخص مبادىء عقل السياسية . . . تعاون مع الجيران الى اقصى حدود التعاون مع الاحتفاظ بالسيادة القومية وكرامة الاستقلال الوطني وهي السياسة عينها التي يتمشى عليها لبنان اليوم وعلى ضوءِها الساطع دخل الجامعة العربية عضواً عاملاً فيها .

واصغَ اليه الآن منوّهاً بما لقومه من فضل على لغة القرآن يوم

أحلّها لبنان المسيحي من سويداء قلبه وعينه وقد تنكّر لها المسلمون في أدوار مختلفة من التاريـــخ منذ عهد العباسيين الى عهد الخديوي اسماعيل حيث كانت الفارسية والتركية لغة البلاد والدولة

لنا مآثر في الفصحى محجلة — منقوشة بيد التاريخ بالذهبِ
من العراقِ الى مصرٍ الى يمن — أم اللغات بعثناها على الحقبِ
في عصبةٍ من أساطين البيان لهم — بند الامارة في جنديّة الادبِ
الخالعين على الانشاءِ جدّته — والمبدلين جديب الشعر بالخصبِ
والخالبين لغات الارض أشطرها — والمالئين بيوت العلم بالكتبِ
لا يأخذنّ علينا القول آخذه — ومجد لبنان في ابرادنا القشبِ

اجل ان مجد لبنان في ابرادنا ... انه ليجري في دمائنا ويتنفس في أعصابنا فليعتزّ بلبنانيته من يشاء فليس هذا بكلام شاعر يؤخـــذ بالأوهام وترصيع الكلام بل هي حقائق تاريخية تنضح بها سماء الارز وأرضه وتحدثـك عنها ستة عشر قرناً مملوءة بالروع والجهاد العنيف المتواصل إحتفاظاً بكيانه وبمجده وقد رصفناه حجراً فحجراً – ومدماكاً فمدماكاً – وبين كل حجر وحجر فلذة تتمزّق من اكبادنا وتحت كل حفنة من تراب جدول ينبع من جراحنا :

هذي البلاد بلادنا — قد هيمن الارز عليها
الله دون سبيله — من مدّ اصبعه اليها

والى القارىء هذا الدستور الادبي – والمدني – يضعه عقل لشعوب الشرق العربي قاطبةً من ضفاف النيل الى ضفاف البحر الاحمر مهيباً بهذه الشعوب المفككة الاوصال المنكمشة على جهلها الخانق العاكفة

على تقاليدها الرثة وضغائن قبائلها الموروثة وأحقاد ملوكها الهدّامة وأنانيتهم المشلّة الحائلة بين رعاياهم واتصالها بأسباب الحضارة والعلم والتمدن الى غيرها وغيرها من علل الشرق الخفيّة والظاهرة .

قال مخاطباً الجامعة الاميركية التي يعتبرها منارة العلم تحمل طابع لكبر أمة ديمقراطية عرفها التاريخ وذلك منذ ثمانية عشر عاماً يوم وقف في حفلة تأبين المغفور له العلاّمة جبر ضومط :

منارة الشرق ان الغرب مضطرد في جدّه فإلى مَ الشرق في لعبِ
طافت ببابكَ آمال لنا غررٌ طوف الحجيج بركن البيت والحجبِ
هذي البلاد فهزّيها الى سبق قد قيّد الدين ساقيها فلم تثبِ
وحوّطيها غداة الريب في فلق من الحقائق يجلو دجنة الريبِ
ولقني القوم ما من أمةٍ شُطرت حزبين إلا عنت في الحادث الحزبِ
فالدين في الناس ركن للإخاء فان تفرّقوا فيه كانوا موطىء النوبِ
يظلُّ يغزو قويُّ القوم أضعفهم فان يجد أهبة للزّود ينقلب
والمرء في ضعفهِ يجتاح مسبعة إن يأنس الخلف من آسادها الغضب
يا شرق حسبكَ أقوالاً بلا عملٍ لا يدفع المستضام الخطب بالخطب

وهذا من اسمى ما يعظ به رجل فرد أمماً وشعوباً . . . امـــا دستوره المدني فإليكه ملخصاً بقوله :

أشقى الخلائق شعبٌ ليس يعصمهُ عند الملم وشيج الدم والعصب

وهـــذا صحيح فمن وشاجة الدم تتكون الاسرة ومن الاسرة يتكون الشعور المشترك بالمسؤولية ومن هـذين تتكون القومية في

الأمة . وبلغة أوضح ان عصبية الدم والنسب تبتدىء بالزواج وهي العائلة الصغرى وتنتهي بالقومية وهي العائلة الكبرى .

وهذا لن يتم لمجموعنا الا بصقل النفوس وتوحيد ميولها عن طريق الثقافة والتقريب بين أذواقها الفنية والأدبية ومشاربها السياسية والاجتماعية وأوضاعها الدينية والتقليدية مما سنته الجماهير وأوحت به طبيعة الزمان والمكان ليتسنى لها ان تكوّن مزاجاً خاصاً بها واتجاهاً عائلياً واحداً يساهم فيه الرجل والمرأة في جوٍّ من الحرية والتكافؤ الادبي

وخلا ذلك فكل بحث في القومية المشتركة بين شعوب الشرق العربي اراه سابقاً لأوانه لا يستند الى جوهر ولا يشفع به رابط من روابط اللغة والدين والجوار .

وفي الشرق العربي كما نعلم قبائل ما تزال حتى يومنا هذا تعيش على الفطرة بيوتها من الوبر ، وأرزاقها ضروع الابل ، فلا سكن ولا وطن تذود عنه وتدافع العدو من دونه

وهل يدافع عن اوطانه رجلٌ ما كان يملك من ارباضها سكنا
إن تجدب الارض يقلع عن مناكبها الى مكانٍ يرى في خصبه وطنا
وانما الوطن الموروث نعرفه بيتاً وزوجاً وولداً تدفع المحنا
والناس دينهمُ منذ القديم على دين الملوك الألى استنّوا لهم سننا
فلا تلمهم على حالٍ بها قنعوا واستبقِ نصحك ان تعقل لمن فطنا

وهكذا ترى ان شعره الوطني والاجتماعي يدعمه المنطق ويعوّل فيه على الواقع والتاريخ وتستند كلها الى عاطفة مخلصة ودماغ مفكر .

واما مواهبه العقلية ونزعاته الفكرية الحرة فلكَ أن تردها الى

عوامل وراثية في أمته ساهمت في نموها البيئة التي احتضنته يافعاً وشاباً ولك ان تردها جميعها الى تلك المنطقة الجبلية والساحلية التي وُلد في جوها وما فيها من مناظر طبيعية تزخر بالجمال والقوة ، وما في تاريخها القديم من احداث عالمية خطيرة نشأت على هذا المسرح الصغير (من هضبات علمات – الى غابات افقا – الى نهر ادونيس – الى شاطىء ببلس الفينيقية) وامتدت منه الى شواطىء الدنيا !... تؤلف كلها لوحاً سحرياً عجيباً لإطاره الجبال ومرآته البحر المتوسط اشتركت في نقش رسومه وتطرية ألوانه وتنميق اساطيره ستة آلاف سنة بما تقلب بين دفتيها من امم وشعوب أطلت بمدنياتها وادياناتها وشهواتها العنيفة على شفق الانسانية فألهبت النفوس وخلبت ببريق مطامعها الشعوب فصبغت بلونها الزمان والمكان وطبعت على صفحة الماء والسماء امجادها واضمحلت . . .

تلقى عقل علومه الابتدائية في مدارس مختلفة ثم انتقل الى مدرسة الحكمة فكان من اساتذته الشيخ عبدالله البستاني والخوري يوسف الحداد وكلاهما قطب من اقطاب اللغة والأدب وانتقل بعدها الى كلية اللايك فأتقن الفرنسية وانصرف بعدئذ الى دراسة الطب عاماً واحداً وتحوّل عنه الى المحاماة ثم عدل عنها . وعندي ان المحاماة كانت اقرب المهن الى سليقته الادبية كخطيب بليغ ومحدث خبير بفنون الكلام وتصريفه واقرب الى ميوله السياسية والاجتماعية ولو انه واظب عليها لمشى فيها الى الذروة واحتل من وطنه اعظم المناصب تواتيه على ذلك شخصية غنية بمؤهلاتها . وتداولته بعدئذ بيئات ثلاث : صناعية ، وأدبية ، وسياسية . اما الصناعية فمن ناحية والده يوسف الجرّ الذي اتقن صناعة الحرير وكان له معملٌ في قرية بحشوش عمل

فيه فريق من فتيانها وفتياتها وانتفع به غيرهم من عمال القرى المجاورة وساعد عقل اباه بادارة المعمل مساعدة فعّالة . امـــا بيئته الأدبية فكانت من ناحية افراد اسرته ومنهم نعمه الجر ، كان متشرعاً ومستنطقاً في محكمة كسروان وابن عمه سليمان الجر الذي زاول مهنة التعليم باللغتين العربية والفرنسية في مدارس عديدة وابن عمه ابرهيم الجر وكان حجة في التاريخ واللغة والأدب عامة حذق من المهن الطب والصيدلة ومن الفنون الجميـــلة الشعر والنحت والتصوير والنثر والخط وله فيها ما ينم على ذوق سليم وذكاء ساطع نقصته البيئة الواسعة لتكون له الشهرة العريضة .

وهناك افراد نوابغ من ابناء قريته امثال فقيد الصحافة داود بركات وبطرس معوض وابرهيم بركات والمونسنيور زوين وسواهم .

وكانت البيئة السياسية التي انصرف اليها بكل ميوله بيئة الشيخين فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة « الارز » التي كانت تصدر في بلدتهما (جونيه) ومَن اختلف الى مجلسهما العامر بكبار رجالات الجبل وأعلام سياسته يومذاك . وكانت البلاد تتمخض بحوادث هامة ضد حكومة مظفر باشا وأشياعه وكان عقل مع صديقيه الخازنيين في طليعة الكائدين لها فأسسا الجمعيات لهذه الغاية وكان عقل خطيبها الملهب الجماهـــير حماسة كما كان رئيساً للجمعية الفتوحية المؤلفة من عشرين قرية من قرى الفتوح وعندما جدّت حكومة مظفر بالتضييق عليه قفز الى مصر فحلّ ضيفاً مكرماً على نسيبه داود بركات رئيس تحرير جريدة « الاهرام » كما حلّ قلمه ضيفاً مكرماً على صفحاتها فاتخذ منها منبراً حرّاً لخواطره الجائشة يرسل من فوقه الحمم والصواعق

على مظفر . . . ولكون الاهرام من الصحف الكبرى التي يُعنى بأقوالها في الاوساط السياسية الاوربية عامة والدوائر العثمانية خاصة لفتت حملات عقل العنيفة نظر حكومة الاستانة فراحت تطالب حكومة مصر باخراجه من البلاد . وتوسط داود لدى العباس فبقي عقل في مصر الى يوم تقلص ظل مظفر عن الارز فعاد عقل الى مسقط رأسه ففرح به صحبه ومريدوه ورشحوه لعضوية المجلس الاداري فهبَّ والده وأعمامه يحولون بينه وبين الوظائف باذلين كل مجهودهم لاقصائه عن السياسة وقد عهدوا فيه جرأة يخشى على حياته معها لاسيما في ذلك العصر الاقطاعي الفظيع الذي تعوّد رجاله مصانعة الحكام واغتيال الاحرار من الاخصام .

ورأى ان يستعيض بترشيح صديقه نعوم باخوس ففاز بالعضوية يؤيده عقل في مقاطعة الفتوح والخازنيان فيليب وفريد في سائر مقاطعة كسروان ثم عاد عقل الى مصر ومنها الى باريس لاشغال كانت سياسية اكثر منها تجارية وبقي حتى دهمته الحرب العالمية فيمم البرازيل وتخيَّر عاصمتها مقرّاً له . ومنذ خمس عشرة سنة تخيَّر له سكناً في حي « كوباكابانا » وهو من اجمل الاحياء في عاصمة الاتحاد .

كلمة الختام

لم تزل شواطىء كوباكابانا تضاحك الشمس وتغازل القمر في لياليها الصافية ولم تزل أمواجها تعانق الجمال اشكالاً وتشبعه ضماً وتقبيلاً ولم تزل مقاصفها ومراقصها مفتوحة للرائحين والواردين واوتارها مشرعة للراقصين وكؤوس الخمر فيها مترعة للشاربين وتلك الوجوه الطافحة

بألوان السعادة تنشر على ما حولها من معالم الحياة أفراحها ومسراتها . . .
اتراها واحسرتاه تستشعر فراغاً لوجهٍ صبوح غاب من بينها ، وقلب كريم احب الحياة على خبثها فأغضى عن مساوئها قانعاً بما أحرز من طيباتها مشوبة بالضنك والكدر .

ويشهد الله انني ما وقفتُ بتلك الشواطىء أسرح نظري في البحر والناس وفيهم المستحمات وبينهنّ مَن عرفنَ اخي يقفزنَ ويلعبنَ ، ويتضاحكنَ للشباب المرح الهازج من حولهن إلا وانعصر قلبي كآبة وكأني بضحكاتهن الطائرة على أجنحـــة النسيم كانت تعود لتتساقط كالذباب المسموم على جراحات نفسي فتنكأها .

والآن وقد مرت على وفاته سنة ونصف فما كانت الا لتزيدني شوقاً اليه ، فأهبُ مولهاً الى تلك الناحية من الشاطىء وأقف شاخصاً متزهلاً الى البوابة الكبرى للبناية التي قضى في جناحٍ منها سنواته الاخيرة وأظــلُ اراقب الداخلين اليها والخارجين منها كأني واياه على موعد .

يا للبلاهة — من تراني انتظر ههنا ؟ !

واذكر مرة وذلك بعد أشهر من وفاته انني اقتحمت تلك البناية تدفع بي عواطف غريبة فصعدتُ الى الجناح الذي كان يقطنهُ وكنت أجهل من حل فيه من بعده فألفيت الباب مشرعاً على طفلين يلعبان ويطفران على الطنافس والجدران ، ثم أطلّت سيدة تسألني : — ماذا أريد ؟ فاعتذرت متلعثماً ورجعت اتعثر بخيبتي وخجلي وشعرتُ ان مَن أفتش عنه اصبح بعيداً عن هذا العالم . ولم يبقَ له من اثرٍ في غير تصوراتي المحمومة . وانه استحال عليّ ان انادمه واحدثه بعد

اليوم ، وان ذلك العش الانيس الذي احتضنه في الأمس وكان عندي المرفأ الامين اهرب اليه من ضوضاء الحياة وهمومها واجداً فيه طمأنينة القلب والروح قد اصبح اليوم خلواً من اخي ...

واصبحت واأسفاه اتطلع اليه من بعيد كما يتطلع الخاطىء الى السماء ... او المسافر في الصحراء الى واحة ابترد بظلها ومائها هنيهة ثم اقلع عنها الى حيث لا رجعة له اليها .

شكرالله الجرّ

ريو جانيرو ١٩٤٧

أميَّ

ذكرت ولكن كحلم عبر   امورا تقضت زمان الصغرْ
غداة ادب دبيب النمال   وحولي تدب صروف القدر
اتغنغ لا مفصح كلمة   فتحسب امي – كلامي درر
واعبث في البيت مستبسلا   فـاي اناء اصبت انكسر
امرغ بالوحل ثوبي الجديـــد   وانفض فوق السرير القذر
وابـــكي فيضجر بي والدي   وليس يـبـلـم بامي الضجر
فتلهب خدي في لثمهـــا   وتمسح من مدمعي ما انهمر
فديتك امـــا تسام العذاب   النهار وفي الليل ضنك السهر

اذ ما النساء ذكرن الصغار   اشرأب بامي زهو الكبر
تنافسهن وتزعـــم اني   ملاك تقمص شكل البشر
ويوم مرضت فجنت وراحت   ترود الكنـائس غب السحر
تنيب الى الله في طلبـــة   تكاد السماء لهـــا ان تخر
تود لو ان الفـــدا ممكن   فتفدي حياتي بنور البصر
وتخلع ان تستطع عمرهـــا   عـــليّ لآمن بطش الغير
ان فتشعر في صدرهـــا   كان انيني وخـــز الابر
وتشكو حشاها الذي اشتكي   كاني باق بهـــا مستقر ! !

ولمـــا يفعت وشق الصبا   كمامي كما انشق كم الزهر

ومرت على مدرجي حائراً كأني ضب اضاع الوكر
اعوم واغرق في لجة رماني الشباب بها والغرر
لقيت بامي منار الهدى وحرزاً حريزاً يقيني الخطر
تسدد خطوي وتلقى عليّ دروس الحياة ووعي العبر

ودار الزمان باحداثه ومر على عقدنا فانتثر
وجرد امي مني كما تجرد كف الخريف الشجر
ورحت اخوض غمار الحياة ودون الحياة زحام البشر
اجالد نفسي على امرها واسعى بعزم يفت الحجر
فاعثر بالمكر والاحتيال وامنى على عفتي بالضرر
وازرع صدقاً فأحصد كذباً واسلف خيراً فاجزى بشر
واربأ بالعيش ان يجتني بنهش الكلاب ووثب الهرر
فأيقظ في النفس هذا القنوط اذكاري امي وعهداً غبر
وخلت النساء كأمي حنانا فكذب فيهن خبري الخبر
رياض تلوح فان جئتها فما من اريج وما من زهر
وردت بجن حياض الاماني فهان الورود وعز الصدر
وحطم سيفي القراع ولولا يراعي فقدت الرجا بالظفر
وهذا الشباب تولى واني احس الكهولة تقفو الاثر
اذا ما تمنى رجوع الشباب اناس تمنيت عود الصغر

حنين

ذكر الأرز بعد شط مزاره اي جرح يسيل من تذكاره
بلبل من خمائل الشرق أقصته الرياح الهوجاء عن اوكاره
بدلته النوى من الروض قفرا ومن السلسبيل حرّ اواره
لا يرى في جنائن الارض حسنا بعد ما بان عن جنان دياره
بللت ادمع الحنين جناحيه الى مسرح الصبا ومطاره
يرسل السجع عند منبثق الفجر كهمس النسيم في أسحاره
لقن الطير حوله نغم الحب فغنّت على رخيم قراره
ذوق الحسن في الربيع خوا - فيه واجرى الرحيق في منقاره
كلما الشمس اشرقت هش أنساً لابنة الشرق هش جار لجاره
ولكم بث في المغيب اليها ما تكن الضلوع من أسراره
في صداح تعلم العود منه رنة قد سرت الى اوتاره
حبذا الارز والنسائم تسري في الأريج الفتيق من ازهاره
وعيون العيون في الغاب تجري لؤلؤاً في اللجين من احجاره
يضحك الزهر حيث تبكي سواقيه ويختال غصنه في ثماره
والمروج الفساح جال بها النور فزان اخضرارها باصفراره
ونسيم الصباح يلقي على الآ فاق من غيمه رقيق إزاره
لبس اشهى الى القلوب واندى من شذا شيحه ونفح عراره
عانقت سدّة الكريم رواسيه والقت ظلالهـــا في بحاره
وطن بالعيون نسقي ثراه ان توانى الغمام في امطاره
ان حُرمنا من نعمة العيش فيه لا حُرمنا من مرقد في جواره

موطن المجد

لملم النسر جانحيه وطارا لا يبالي في سيره الاعصارا
ضاق لبنان وكنة وسماء عن مراميه فامتطى الاقدارا
واذا ضاق موطن الحرّ بالحرّ فما تنفع البسيطة دارا

* * *

اسفا للاديب فهو غريب قلق القلب اين حلّ وسارا
هدهدت نفسه الاماني كبارا وبرت عزمه الخطوب كبارا
غصة تلو غصة تلو اخرى بين اضلاعه تؤجج نارا
لم ينل من حنينه المال والجاه ولم ينسه الجمال الديارا
ساهد الجفن لا يلين بجنبيه فراش ولا يقر قرارا
هو في غربة يحول فيها الشوق افراح قلبه اكدارا
وسيفني ايامه ولياليه الى يوم في الثرى يتوارى !

المتنبي

قالها في الحفلة الالفية للمتنبي

جُبِ الجزيرة واسألْ في بواديها   هلْ أدركَ المتنبي غايةً فيها
أ للسياسةِ أم للدين دعوتهُ   إنَّ النبوّة اشكالٌ مراميها
ام انها وخيالُ الشعر أبدعها   قصيدةٌ زانتِ الفصحى قوافيها
والشعرُ إن يبلغِ الاعجاز قائله   رسالة اللهِ في الدنيا يؤديها

. . .

يا للجزيرة ترمي بابنها يفَعاً   رميَ السماءِ شهاباً من دراريها
يشدُّ في الارض لا حولٌ ولا نسبٌ   فيملأ الارض قاصيها ودانيها
يلقى الملوك مليكاً مثلهم فاذا   ساموه مدحاً يسمْهم ضعفَه تيها
يظلُّ كلُّ مليكٍ خاملاً وكلّاً   حتى يصوغ به الاشعارَ تنويها
كأنه وملوك الدهر في سبقٍ   الى المكارم لا يألو يباريها
يُعطي البيانَ عطاءً لا فناء له   أما عطاياهمُ فالدهرُ يُفنيها

. . .

ابا (محمّدَ) هذا الشرق قد لعبتْ   فيه الحُميّا وما إلاّك ساقيها
هبّت الى مجدكَ المطويّ تنشره   بلابلٌ ترقص الدنيا اغانيها
تشدُّها أمةٌ في الارض ضاربةٌ   في كلّ مكرمةٍ تلقى اياديها

نامتْ على عنتِ الايام واحتبست ... بين الضلوع شجوناً انتَ تدريها
واليوم تبعثها للمجد حافزةٌ ... من نورِ شعركَ والآمال تزجيها
في كل سبطٍ وصقعٍ من مواطنها ... أُسدٌ تجولُ واشبالٌ تلاقيها

• • •

مرحى لعصركَ يوم الشعرُ دولتهُ ... خفّاقة البندِ والأقلامُ تحميها
بُويعتَ فيها ولم تبرح بلا خلفٍ ... ومن لها بأبي بكرٍ يلبّيها
نزلت في حلبٍ من سيف دولتها ... منازلَ القطر في ارجاء واديها
غنيته المجد حتى باتَ شاغلهُ ... والحرب حتى غدا في الروم مُصليها
هززتَهُ وملوكُ العرب نائمةٌ ... عن المعالي وفي بغداد ما فيها
فذادَ عن بيضة الاسلام في أُسُدٍ ... النصرُ أرضع طفلاً من مواضيها
سيوفُ حربٍ بسيف الدولة اعتصمت ... يا للسيوفِ أغير الدمَ يرويها
تمشي الى ساحة الهيجاء جهشةً ... كأنَّ شعركَ ما ينفكُّ حاديها
تهبُّ كالجنِّ في خيلٍ مطهّمة ... من كلِّ شعثاء طعمُ الموت في فيها
برَّت بفرسانها حتى اذا انطلقتْ ... من هول ما شهدتْ شابت نواصيها

• • •

اللهُ اكبرُ ما في العيش من متعٍ ... دامت ولا نعمٍ طالت ضوافيها
للمرءِ مدٌّ وجزرٌ من مطامعهِ ... وللنفوسِ عثارٌ في امانيها
حتى الامير انثنى وازورَّ ناظرهُ ... وانت ذو شيمٍ لا شيء يثنيها
فما نكثت عهوداً كنت مُبرمها ... ولا نقضتَ صروحاً كنت بانيها

• • •

دعاكَ (كافورُ) لما ذرَّ طالعهُ ... ودون (كافور) اعداءٌ يناويها
رأى بشعركَ تأييداً لدولته ... على (ابن طغج) فأعطى القوس باريها

نزلت حراً على عبدٍ فما سكنتْ ... ما بين جنبيك نفس عن تنزّيها
أنشدته الشعرَ لا مالٌ تؤمله ... ولا ضياع وارزاق ترجّيها
الاّ لبانةَ نفسٍ عزٌ مطلبها ... وغايةٌ لبس كافورٌ بمدنيها
ومَن تكنْ فوق هام الزُهر حاجته ... هيهات لبست ملوك الارض تقضيها

. . .

غادرت مصراً كطيرٍ فرّ من شركٍ ... وبين جنبيك آلامٌ تعانيها
رجعت والنفس ظمأى في مطامحها ... والنيلُ قصّر عن إرواء صاديها
ما اعجزَ النيل عن ارواء ظامئةٍ ... ما استطاع دجلة يوماً ان يروّيها

. . .

يممت (شيراز) لما (عضد) دولتها ... دعاك والبشر يطفو في مغانيها
نزلت منه على ملْكٍ اخي أدبٍ ... ودولةٍ سادت الآداب اهليها
إنّ الممالك إن لم يُعلها أدبٌ ... فلا السيوف ولا الاموال تعليها
أبقيت في الفُرس آياتٍ مخلّدةً ... كأنما رافع الايوان مبقيها
أقمت بالشعر للاسلام حجتهُ ... ورحت بالحِكَم المثلى تزكّيها
آمنتُ بالله لولا الدين يعصمها ... لكان عن سُوَر القرآن مغنيها

. . .

ابا (محمّد) حسبُ النفس ما بلغت ... إن النفوس كثير المجد يشقيها
كفى بمجدك أنّ الشعر كافلهُ ... في كل عصماء راح الدهر يرويها
إن الملوك التي صاحبتها درجَتْ ... مع الليالي وضاعتْ في مطاويها
لولا قصائدك الغراء ما ذُكرت ... يوماً ولا دوّن التاريخ ماضيها

ساعة لقاء

ولما رات مدمعي جارياً   وقد جهلت كيف يبكي الاسدْ
أكبّت عليَّ بعطف وقالت   امثلك يبكي بكاء الولد
اتحمل عِبءَ المعالي وتعيا   اذا ما تقاضاك حبي الجلد
اذا كان صدي أمضك فابشر   فما لك عما تروم مرَدّ . . .
فاطبقت ثغري على ثغرها   الى ان خشيت عليها الدرد

. . .

ولمّا سكرنا بخمر الرضاب   وكان الرقيب الخبيث وقد
ضربنا الدجى موعداً بيننا   فدب بقلب النهار الحسد
وابطأت الشمس في سيرها   فخلت كأن النهار الأبدْ

ذاك المبسم الدري . . .

ولمّا التقينا للغبوق وبيننا   حديث هوىً أدعى من الراح للسكر
ابيت على الاقداح تقرع سنها   وتلثم منها ذلك المبسم الدرّي
فقمتُ الى تلك الكؤوس أعبّها   وافرغُ في فيها الثلافة من ثغري
كأني طير جاء بالماء فرخه   فراح يزقّ الفرخ من ظاهر الوكر

المنزل الصامت

ايا منزلاً خلفَ الحديقةِ صامتاً اعيذكَ من صمتٍ وقد نطقَ الدهرُ
اما في كؤوس الحب منكَ بقيةٌ فأجرعها أم لا كؤوسٌ ولا خمر
اعندَ الليالي الغادرات بأننا شتيتان صرنا ليس يجمعنا وكر
وكنا كطيري ايكةٍ نملأ الضحى صداحاً فيغفو فوقَ انغامنا الزهر
سعى بيننا بالهجر ساعٍ فصوّحت رياضٌ فلا طيرٌ يغنّي ولا عطر
وحال زمانُ الوصلِ هجراً وانني رأيتُ زمان الوصلِ موعده الحشر
ولا امل بالعيش يُرجى لمن غدا ولا شمسُهُ شمسٌ ولا بدرهُ بدر
لبستُ من الايام جلبابَ وحشةٍ سينزعه لطفاً بأنمله القبرُ

الأديب الزاهد

هذا الاديبُ فلا مالٌ ولا نشبُ لا كان عهدك عهداً ايها الادبُ
شريعة العيش ان تحيا مناكدةً لا يصدق المالُ حتى تكذب الكتب
خلِّ الألى عشقوا الدنيا وشأنهم وحسبكَ النيرانِ العلم والنسَب
مَن شادَ فوقَ الطباقِ السبعِ منزلةً سيانِ في راحتيهِ الترابُ والذهبُ

لبنان

لله لبنان والايام حالية — ومورد العيش صاف في مغانيه
وللنسيم حفيف في خمائله — وللمياه خرير في سواقيه
وللغيوم بكاء في أصائله — وللبروق افترار في دياجيه
وللظباء كناس عند شاطئه — وللاسود مقيل في اعاليه
وشاعر ملء برديه الحنين اذا — رنت كؤوس الطلى فاضت قوافيه
بالرغم مما تولى من نضارته — ما زال يشرب والدنيا تغنيه..
يهفو الى العيش في مخضل تربته — وتشرأب به امجاد ماضيه

. . .

قل للنفوس اذا جاشت مطامعها — مهلا فان طموح المرء يرديه
المال والجاه والدنيا برمتها — ليست تساوي نزيزا من مآقيه
وما احتياجاً نزوحي كان عن وطني — لكنها نزوات الجهل والتيه
ولست آسي على شيء اساي على — عمر تصرم في الهجران ابكيه
وكل ما جمعت كفاي من نشب — ولى وراحت يد الايام تذريه
الاخلاق على الاحداث ناشزة — كأنها جبل عزت مراقيه
وفي يميني يراع غير ذي كلل — يقطر السم والترياق من فيه
ازجيه كالنار طورا في تضرمها — وتارة كنسيم الروض ازجيه

عرائس المجد

الفينيقيون

شعبٌ فتيٌّ طامحٌ متوثبٌ ... في بقعةٍ صخريةِ الأرجاءِ
ما بين لبنان وموج خضمه ... حثَّ الركاب بهمة قعساء
فمشى وحمى الفتح بين ضلوعه ... تركت بعينيه الضحى كمساء
صورٌ يحف بها ازرقاق شطوطها ... قامت كسيدة على الدأماء
تبدو كمصباح تألق في الدجى ... قمرية الانوار والاضواء
غصَّ الخضم بسفنها فتفتقت ... امواجه عن رغوة بيضاء
ويصادم المجذاف مجذافاً على ... بغتٍ فتدوي الريح في الاجواء
ويموج كتّان الشراع مصفقاً ... بجناحه في ضجة الانواءِ

. . .

حيرام يحمل صولجاناً اسوداً ... كثّ الحجارة باهر اللألاء
يحصي من الارز المتين سفائنا ... مملوءة بنفائس الاشياء
خزا – وبرفيرا – وكل كريمة ... فمن العقيق لعسجد وضاءِ

. . .

ملخار باركْ من سماك قوافلا ... نشطت لفتح مجاهل الغبراء
تركت جبيل وغادرت أنترُدس[1] ... وربوع صيدا ربة الاثراء
ومشت الى عرض المحيط شعارها ... نشر الحضارة تحت كل سماء

---

١ – مترجمة عن الشاعر البرازيلي أولافو بيلاك . وعندمـــا اطلع الدكتور حبيب اسطفان الخطيب المشهور على هذه الترجمة ارسل الابيات التالية الى صديقه الشاعر :

عقلٌ – زففت الينا اليوم ترجمة ... من شعر بيلاك في احلى التعابير
كأنني حين اقراها وانشدهـــا ... أخال حيرام يمشي في الاساطير

ليل بلا فجر

اقول لنفسي والمنى تدفع المنى   رويدك الامر ذو مركبٍ وعرِ
أفي كل يومٍ مطمحٌ اثرَ مطمح   اتبغين جمع الكون في الانمل العشر
لكل فتى في الناس حظ مقدر   ورزق على مقدار قسمته يجري
ولو ان حظ الناس وقفٌ على النهى   ملكتُ وايم الله ناصية الامر
ولكنه سهم رمته يد القضا   على غير تفويق فطاش عن الحرّ

. . .

ذريني فودّ الناس خبٌّ مبادل   تستره باللطف مدنية العصر
اذا ما لبانات النفوس تعارضت   تكشف عما جنّ منهتك الستر

. . .

نظرت الى صحبي ودهري باسم   فلم ارَ فيهم غير مبتسم الثغر
وصحت بهم والدهر قطّب وجهه   فكانوا الى التقطيب اسبق من دهري
فيا لكَ دهراً زيفت كفه الورى   وقد كشف الحكُّ النحاس من التبر
نشدتكِ هل للقلب منك هوادة   فان ليالي السهد عندي بلا فجر
تريدين نيل البدر في مطلب العلى   وكم ببدور الارض مغنى عن البدر

العاشق المصدور

أخيال وللخيال لمام ... ما أرى ام فتى براه السقامُ
يلتوي ما النسيم هب ويمشي ... مشي من اوهنت قواه المدام
هيكل عارق من اللحم يكسوه ... رداء تجول فيه عظام
ليس فيه من الحياة دليل ... غير روح ينم عنها الكلام
نزف الدّم كبده وتمشت ... في حنايا الضلوع منه السمام
صفرة الموت في الجبين وفي ... الجفنين من اثمد النحول قتام
ليس يحلو له الشراب وان كان ... كالشهد او يلذّ الطعام
بات قبحاً في عينه كل حسن ... واستوى النور عنده والظلام
يرقب الموت ساعة بعد اخرى كل يوم يقول هذا الختام
نفض الكف من امانيه لكن لم يزل فيه للغرام أوام
فدعا الله ذا هلا ليس يدري ... ارجاءٌ يسوقه ام ملام
جائش الصدر بالسعال كأن ... الصوت في حلقه علاه فدام
رب امعنت باخترامي حتى ... لم تجد مرتعاً بي الآلام
ودفعت السلال يقصف مني ... زهرة لم يشق عنها الكمام
ينعم الناس بالحياة طويلا ... ونصيبي من الحياة اللمام
لست بالاسف الحزين عليها ... وسواء زوالها والدوام
غير اني ولي حبيب عزيز ... كيف القاه ان يغلني الحمام
حمل الشجو والانين لما بي ... عفوك الله فالمزيد حرام
فاذا لم يكن من الموت بد ... والقضاء الذي قضيت لزام
هبني يا رب ساعة فأراه ... وعلى الكون والحياة سلام

الغني الجاهل

فقير قد حباه الدهر مالا
فراح يجر اذيال الغرور
يسير كأن في برديه كسرى
وفي كفيه تصريف الأمور
يخال الناس اجمعهم عبيداً
تعيش بفيض راحته الغزير
يمن ربه ويتيه عجبا
اذا بالفلس جاد على فقير
تستر بالنضار وقد تعرى
من الاداب والخلق النضير
دعي لم يصب في العلم سهما
فان يقرأ تعثر بالسطور
يرود الجاه في سوق الدنايا
ويشري المدح بالثمن الغرير
يزج بنفسه في كل ناد !
وغاية قصده حب الظهور
يظل محدثا عما لديه . .
من الاموال والريع الوفير
وعن قصر له طال الدراري
وازرى بالخورنق والسدير

يفيض على العفاة الرزق منه
ويحمي كل شاك مستجير
تملكه التفيش حيث اضحى
يدل باصل اسرته الخطير
ويزعم ان والده امير
تحدر بالسلالة من امير
وشر مصائب الدنيا غني
تعاظم وهو ذو نسب حقير

. . .

ودار الدهر دورته عليه
فلم يترك له شروى نقير
ومال ظنه كالبحر طمّا
تطاير كالدخان مع الاثير
فما اغنى تبجحه فتيلا
ولا وقاه منقلب المصير
لوى غلواءه حكم الليالي
فبات اذل من وتد البعير

. . .

اذا ما المال لم يدعمه خلق
يصون المرء من شطط العثور
فنعم الفقر يقرن باتضاع
وبئس المال يقرن بالغرور

شتاء الحياة

مل من عيشه ملالَ السجين
وتمنى ورود حوض المنونِ
هرمٌ ينقل الخطى بتوان
وعلى منكبيه عبء السنين
قوّست ظهره صروف الليالي
فغدا نصف حلقةٍ أو « كنون »
وعدته قوافل الصبح والليل
فأبقت خطوطها في الجبين
أنكرت عزمه الركاب ويسرى
راحتيه تنكّرت لليمين
ونبا سمعه فكل حديثٍ
وقعه خافت كوقع الطنين
عاد كالطفل أدرداً ليس يقوى
ماضغاه على الطعام الطحين
أترى الكهرباء فيه تمشت
أم ترى رعشة الفنا في الجفون
ساورته من الصبا ذكريات
أضرمت في الضلوع نار الحنين

مسهد الطرف لا ينِي يتلوّى
في حشا الليل خابطاً كالجنين

ليس للطيف بين جفنيه مأوى
أو تأوي الطيور يبس الغصون

حوّل الكبر دمعهُ زفراتٍ
بعد ما جفّ منه نبع الشؤون

ليس يدري مصيره وظلام
الشك ماحٍ لديه نور اليقين

لم يخيَّر على الوجود ولكن
جاءه مكرهاً بمجيء الغبين

لا يرى ندبة الحياة لهذا النا
س عن حكمة ورأي حصين

يسأل النفس أين كنت ؟ وماذا
مدرك في غدي اذا حان حيني

وأنا من أنا ؟ أحشرة تربٍ
قد سمت وارتقت خلال القرون

أم أنا نفثة من الله ضاعت
في ثنايا النسيم بـــين الغصون

وهيَ الروح ما يدبُّ بأعراقي
ويجلو الضياء نصب عيوني

أم بخار الغذاء يدفع بالجسم
فيُجري الدماء ملء الوتين

وهو العقل ما يهيمن في الرأس
ويُعنى لحكمه في الشؤون

أم نسيس الدماغ يلهبه الجهد
فيَهدي الى الطريق الامين

ليت شعري وقد بلغت عتياً
كيف لا استطيع ادراك كوني

أأعيش السنينَ أضربُ بالجهل
وأزجي الظنون تلو الظنون

لا أرى في الحياة غير ظلام
ليس يجلوه غير نور المنون

اليأس

أرأيته يمشي الهوينا ذاهلاً والنارُ عالقةٌ بذيلِ ردائهِ
تسعى به رجلاهُ ولكن عزمه قعدتْ به الاحداث بعد مضائه
يجري وراء الرزقِ جريَ مشيّعٍ في مأتمٍ من صبحهِ ومسائه
فقدَ الرجاء فلو أصاب على ظما أيٌّ المناهل لانثنى عن مائه
ما شئتَ علله بأسباب المنى لا فرق بين نعيمه وشقائه
يتوهمُ الدنيا على رحباتها دارَ البخيل تضيق عن إيوائه
ويرى الورى في الكون قوماً واحداً وهو الغريبُ الفذُّ تحت سمائه
تلك الأماني المشرقات بوجهه مُحقتْ محاقَ البدر بعد ضيائه
قد كان سباق اذا استنفرته تستنفر الضرغام تحت قبائه
عمرت بكل كبيرة اخلاقه وسرت جرائيم العلى بدمائه
ما كان يقنع بالمجرة مقعدا حتى لواه الدهر عن غلوائه
فاذا به واليأس بحر زاخر فلك محطمة على انوائــــه

. . .

قل للذي ملك القنوط سبيله فأمال صرح ذكائـه ودهائه
اليأس مدرجة النفوس الى الردى والمرء مفقود بفقد رجائه

المستحمات

خرجن الصباح خفافاً عجالى　　يلحنَ لفرط الدلال غالى
حسانٌ هبطن مياه الخضم　　فراح الاجاج بهنَّ زلالا
بقايا النعـــاس باجفانهنَّ　　تركن سيوف اللحاظ كلالا
وقبّل نورُ الصباح الثغورَ　　فزدن افتراراً وزاد اشتعالا

. . .

خلعن البرود فكدنا نهمُّ　　بخلـــع الحياء بهنَّ خبالا
ولحن عراة الجسوم ولكن　　كسا العريُ تلك الجسوم جمالا

. . .

وطأن المياه ولمـــا شعرن　　ببرد المياه هوينَ وجالى
وعمن على الماء عوم الاوزّ　　يخطّ الرغاء لهنّ مجالا
اذا الموج دغدغ اردافهنَّ　　اشرأبت عليه الصدور اختيالا
كأني بهنّ ومـــاء المحيط　　يميدُ يميناً ويعـــلو شمالا
نجوم تلوح وراء الغمام　　فآناً جساماً وآناً ضئالا

. . .

ولما أطلَّت ذكاه وألقت　　من النور فوق الخضم حبالا

وذهّب منها الشعاع الربى وفضّض منها الضياء الظلالا
ولاح لتلك الجسوم انعكاس يريك المياه مرايا صقالا
قفلن ولما بلغن الرصيف نظير الطيور انتفضن بلالا

. . .

درجن على الرمل درج القطا لواعب آناً وآناً كسالى
يثبن لقذف الكرات فامّا مللن الوثوب افترشن الرمالا
ولذن بظل المظال وراحت تداعب كل مهاة غزالا
يهفّ النسيم كأنفاسهنّ ليلثم خداً وينشق خالا
كأن النسيم عفاه النظام فعدّ الحرام عليه حلالا

. . .

فرحتُ انقل مثل الفراشة بين الورود اللحاظ انتقالا
فمن كاعب بضّة الملمسين تدلّ بوجهٍ يحاكي الهلالا
الى لدنة الكشح ريانة يعانق فيها الجمال الدلالا
الى ذات خصر كعنق الحمام وجيد كجيد النعام استطالا
ومن ذات قدٍ كغصن نحيفٍ علته النهود ثماراً ثقالا
الى ذات ساق سويّ النظام يحاكي نحيت الرخام انفتالا
يحار المحدّق أيــاً أتمّ جمالاً وأياً أشد اعتدالا
وايّ قوام اثار هـواهُ وايَة عينٍ رمتهُ النبالا
تنوّعن في الحسن حتى غدونَ لكل ضروب الجمال مثالا
تمنيت منهن في كل غالٍ . . لو ان الفؤاد ينال منالا
وشقراء كالعاج وثـابـةٍ يغرّك منها ابتسام تلالا

أخـذت عليها عنان الطريق ورحتُ أسرّ اليها سؤالا . .
فراحت تقهقه في غنة كأني أحاول منها المحالا
وقالت لتسمع اترابهـــا كأني اسوق اليها الضلالا
لك الله من شاعرٍ واهمٍ الى اي افقٍ ركبت الخيالا

ميزان الحظ

يصيب المرء من دنياه مالا
ولكن من حلى الاخلاق يعرى
كأنّ الحظ ميزان اذا ما
تعالتْ كفةٌ تنحطُ أخرى

ولدي

أعطيته كالصبح غرّته ملكاً تقمص صورة الولدِ
ازهو بطلعته واحسبه الكون جمّع كله بيدي
واطل منه على غدٍ لمعت آماله في مفرق الابد
أشتم وجنته وارشفه كالشمس دمع الزهر في الرأد
وابيحه ثدياً يخمّشه فيطيب في تخميشه قودي
يحتل عرشاً من دعائهِ روحي وبسطة ملكه جسدي
تغفو عيون الناس هانئة وهناء عيني فيه بالسهد
تهاجني من فيه زقزقة تزري بصوت البلبل الغرد
ويشوقني من رأسه شقرٌ كالتبر مذروراً على برد
يرنو اليّ ويا لمقلته بصّاصة كالنجم في الجلد
ويهف نحوي منشباً يده في العين او في النحر والعضد
فأزقه قبلي وارهقه وأكاد ارجعه الى كبدي
فكأنني وانا ادغدغه طفلٌ وطفلي دميةٌ بيدي

عروستي الصغيرة

تقول لها امها يا ابنتي اليك العريس الا تحجلين
تعالي وخلّي الدمى جانباً والقي السلام على الزائرين
فجاءت والعابها حولها صغار تحف بام حنون
تقدم رجلاً وترجع اخرى وترنو بخوف الى الحاضرين
يموج الحياء على خدها فيطلع ورداً على ياسمين
ويسري النسيم على شعرها فينتثر التبر فوق اللجين
فرحت اداعب تلك الدمى واضحك حيناً لها بعد حين
ولما استكانت الى صحبتي وشامت بوجهي الرفيق القرين
ترامت عليّ بدلٍّ وراحت تقص حديث صغار البنين
فطوراً تحدّث عن وليم وطوراً تخبر عن آفلين
وحيناً تحدث عن امها وعن ثوبها المخملي الثمين
وآناً تشير الى كلبها وما كان من فتكه بالبسين
تلوك الاقاصيص في لثغة لديها البيان ضئيل مهين
فقالت لها امها عندما رأتها الى صحبتي تستكين
اراقك هذا العريس ؟ اجيبي علامك ماما ؟ ألا ترتضين ؟

فقامت تسر الى امها الجواب بذاك الحديث الرطين
فكان كطيب نما عرفه ونمّ عليه بريق العيون
وحت اروز النقود بجيبي فتدنو وتطلق فيه اليدين
اساوم عن قطعة قبلة فترضى وتدني اليّ الجبين
فالثم ما شئت لكن بعدّ ونقد فليست تبيع بدين ...
وامسك عنها فتمسك عني فسن بسن وعين بعين
فقالت وقد ضحكت امها تعلّم تعلّم أخا الاربعين
كبرت ولم تستفد في الهوى فحسبك بنت ثلاث سنين

علّليني

علّليني واجملي فالتعلّه
طالما رفهت عن القلب علّه
وكليني الى غد ففؤادي
لم يزل بالجمال مغرى موله
لا تقولي مضى زمان التصابي
وطويت الطريق الا اقله
لا تقولي جمال وجهك قد حا
ل ونور المشيب قلص ظله
لا تقولي خبا البريق بعيني
ك وهذا الذبول حلّ محله
لا تقولي عهدت عزمك سيفاً
مرهف الحد والقراع أفلّه
لا تقولي خلعت عنك وشاح
الزهو واعتضت بالرصانة حله
كل ما كان في شبابك حقاً
اصبح اليوم في اكتهالك ضله
لا تقولي فرب قول صواب
فندته على الصواب الادله

ذاك شأن الحسان

ابن تلك التي أحلت فؤادي   سدرة المنتهى غداة هوتني
وادارت عـــلى فمي شفتاها   كوثر الخلد كلما قبلتني
فرأيت الوجود بين يديها   لا يساوى اليسير مما حبتني
واستوت قانوسا على عرش صدرى
ابن تلك التي ملكت بها المجد   وطلت السهى بما ملكتني
واستعدت الصبا وقد لمع   الشيب على مفرقي لدن تيمتني
وتقلدت رأيها في الرزايا   عدة كلما الرزايا دهتني
وحسبت الوجود طوعاً لامري
أين من فجرت يراعي بيانا   دونه الدرّ بالذي نفحتني
وجلت كفها عرائس شعري   فاذا السحر بعض ما الهمتني
لقنتني الكبير من كل امر   فبززت الورى بما لقنتني
فنسيت الكثير من ظلم دهري
ابن تلك التي وقفت عليها   ادمع العين بعدما فارقتني
وقلوت النساء طراً كأني   خلت كل النساء قد خدعتني
وفقدت الرجاء بالعيش والحب   وبالقوة التي خلقتني
كل شيء بامر ربك يجري
أترى ملت الثواء فسدّت   مع طيور الفضاء واستخلفتني
ام سرت والنسيم في الروض حتى   فتن الزهر لبها فسلتني
ام طغا طبعها عليها فخانت   مثلما خان غيرها وجفتني
ذاك شأن الحسان في كل عصر

وردتي

سقتكِ الغمائم يا وردةً غرستكِ في الصدر من روضتي
وقمتُ عليكِ قيام الحنوّ كأني احنو على طفلتي
اذا حبس الفجر عنكِ الندى سقتكِ مدامعها مقلتي
ابدّد عنك النبات الغريب واقلع الشوك في راحتي
وابسط عند الهجير عليكِ لكيما اقيكِ اللظى بردتي
اغار من الطير إن حوّمت عليكِ او الريح ان هبّتِ
وارقب فيكِ البراعم حتى كأنكِ زوجي وتي صبيتي
اذا ذرّ في كمه برعمٌ تذرُ السعود على غرّتي
بروحي ورودكِ إذْ فتّحتْ حقاق عقيق على فضّة
تغار الازاهر من عرفها فتغري النسيم على السرقةِ
وددت لو اني اصون بجفني بهاكِ وطيبكِ في مهجتي

. . .

ويومٍ غفلت فحلّ القضاءُ وضاعت بدفع القضا حيلتي
دهتكِ الرياح فما ورقة ترف هناك على ورقةِ
وارسلت الشمس نيرانها فأودتْ بازهاركِ النضرةِ
وداهمكِ النمل في جيشه فعاث باغصانكِ الرطبةِ
ونال الخنافس منك فويلي تنال الخنافس من وردتي
فبعدكِ لا أمرعتْ روضةٌ ولا سحّ قطرٌ على زهرةِ

اليتيم

مَن لطرفٍ يرى اليتيم الصغيرا   ليلة العيد كيف بات حسيرا
يبصر الناس في مراحٍ ورغدٍ   ويرى نفسه شقياً فقيرا
كم أصاب الصغار كعكاً وحلوى   وأصاب العراء والزمهريرا
كلٌّ ثوبٍ على صغيرٍ جديدٌ   ما خلا ثوبه العتيق الحقيرا
قد براه الطوى وشدّ عليه   أنّ عند السوى طعاماً كثيرا
كم تمنّى لماظةً من غنيٍّ   متخمٍ واشتهى الفتيت الكسيرا
ورأى الكلب آكلاً مستريحاً   فتمنّى لو كان كلباً صغيرا
كلما القرُّ قرَّه في الليالي   ضرّر الجسم واستمدّ الحصيرا
وبكى والبكاء ليس بمجدٍ   مأكلاً طيباً وفرشاً وثيرا
أدرك الغبن في الوجود ولكن   بات عن سرّه نهاه قصيرا
حار في امره وربّ صغير   حار في مشكل فكان كبيرا

• • •

فأتى أمّه يظنّ لديها   رأي لقمان سائلاً مستنيرا
ما الذي عمّر المنازل يا أمّ   وأجرى الطعام فيها غزيرا

ما الذي جاد بالكثير على الناس واعطى الفقير نذراً يسيرا
مـا الذي البس اليتيم البوالي وكسا صبية الغني الحريرا ؟
مـا الذي فرق الحظوظ فهذا بات عبداً وذاك بات امـيرا

. . .

اكبرت امـه السؤال وقالت ليس فهم الحياة يا ابني يسيرا
حكمة الله قد قضت بالتساوي فاصابت من الانام النكيرا
غلب الظلم في الحياة على العدل وصار الاخاء أمراً عسيرا
فاسترق القوي فيهم ضعيفا واستباح الكبير منهم صغيرا

بلبلي

فديتك غرّد أيا طائري
لعلك تهدىء من ثائري
عهدتك يا بلبلي «معبداً»
تغني على وتر ساحر
تشقُّ الظلام بتغريدةٍ
فينبلج الصبـح للناظر
وتصغى النجوم اليك فتخبو
وتغرق في الفلك الدائر
ألم تك في وحدتي مؤنسي
أبثك ما جاش في خاطري
تنوح اذا ما جرى مدمعي
كأنَّ فؤادكَ في ناظري
فيا لـك من شاعرٍ ثائراً
دموع الوفاء على شاعر
أصمتاً وهذي الطيور تغنت
على كل مخضوضر زاهر
ومـاج الضياء بزهر الربى
فماس بجلبابـه الباهر
فمن قال لليل ان ينجلي
وما كان الأكَ من آمر

وبشّر بالصبح اهل الكرى
فهبوا على شدوه الباكر
عراك نظام الحياة وشيكاً
فعرّاك من ريشك الفاخر
وجمت حياةٌ وجوم العذارى
دُهمن على العُري بالفاجر
أتأسى لخلعك ريشك أما
لخلعك ثوب الصبا الناضر
وربّ جديد بنسيّ قديماً
ويطمس ذكرى شقاً غابر
ألست تراني وزهو شبابي
تولى سكنت الى حاضري
ونهت بتاج على مفرقي
ترصّع بالقمر السافر
فلبس الحياة بحسن الشباب
ولكن بعزم الفتى الباتر
وهذي الكهولة أوفى ذماماً
وأدعى الى العمل الكابر
فديتك غرّد ولا تبتئس
فلست على الصمت بالصابر
فمن ذا يغيّر شرع الحياة
ويطغو على قدرة القادر

شبح الأرز

أعدني الى الأرز يا خالقي — فليست بلادي هذي البلادْ
أعدني الى جبل الوحي فيك — ووكر النسور الرفيع العماد
أعدني الى الشفَق المستنير — يلفُّ الربى ضوؤه والوهاد
أعدني الى مشرق الشمس إن — صباحي في الغرب جمّ السواد
أعدني الى مسبحي في خضمّ — بلادي بين الحصى والزباد
أعدني الى مسرحي في الشباب — ومطلع فجر المنى والرشاد
أعدني فأني في مهجري — غريب اللسان غريب الفؤاد
أغرّد كالطير في بلقعٍ — فيضحك مني الثرى والجماد...
أرى شبح الأرز في يقظتي — ويعرض لي طيفهُ في الرقاد
أعدني وهبني شقيّاً نقيّاً — أليس لكل نفيٍّ معاد ؟ !

. . .

أعدني الى خلوتي في الجبال — بظلّ الغصون وضوءِ القمرْ
أعدني الى النهر[1] في ضفتيه — من الحور أشباح امس غَبَرَ
يطير ويهبط فيه الحمام — على لمعةِ الشمس غبّ المطر

أعدني لاشهد فصل المصيف وفصلَ الخريف وفصل الزهر

وفصل الشتاء وعصف الرياح ووقع الصواعق فوق الحجر

وزمجرة الرعد حول القبور تدبُّ بقلبِ الرميم الذعر

ولحف الثلوج تغطي الظلام فتحسب ان الصباح انتشر

أعدني ... فليس جمال الوجود يعادل عندي تلك الصوَر

فإني ربيبُ الجبال فمـــالي وهذي الشواطىء ملأى بشر

فيحشوش أشهى الى خاطري وعهد الطفولة أبقى اثر

---

١ – نهر ادونيس المعروف بنهر ابرهيم يمرّ في وادي يحشوش قرية الشاعر .

وتناسينا..

ذهب الدهر باحلامي العذاب — واحتواك الصبح يا ليل الشباب
غربة طالت وطالت بعدها — حسرات القلب في دنيا اغترابي
حيرة النازح عن موطنه — حيرة الزورق ملقى في العباب
ما لاوكار الصبا موحشة — أترى تزهو بنا بعد الغياب
كلما عللت نفسي ضحكت — ضحكة الهازىء من هذي الرغاب

...

كم بــلاد بسم الحظ لها — وبلادي في اضطراب واكتئاب
اترى الجاني عليها اهلها — ام ترى موقعها السهل الجناب
ام ترى الجاني عليها حسنها — رب حسن كان مدعاة الخراب
ليت من جملها عطلها — ووقى ابناءهـا شر العذاب
انبت الاديان فيها شيعا — فاذا الاديان من بعض الحراب
وبرانا اخوة من روحه — فاختصمنا عند تفسير الكتاب
وتناسينا بأنا امــة — راضت البحر وابلت بالصعاب

...

امة تاريخها حجتها... — ان تباهت امم بالانتساب

طلعت في الدهر بدراً نيّرا ... وحساماً مصلطاً فوق الرقاب
فعرا البدر خسوف وعرا ... ذلك السيف انثلام في القراب
ومشى النحس عليها فهوت ... بين أشداق الثعالى والذئاب
ناهداً للهجر من عقبانها ... كل من يأبى احتكاماً للغراب
لا أذم الهجر – في المهجر لنا ... بسطة العيش واسباب الغلاب
وعلى اضفى على الارز على ... لبس كل المجد في ظفر وناب
من طموح المرء من همته ... حافز يلقي بـه في كل باب
من صحارى الارض يطويها ومن ... لجج اليم الى اشداق غاب ؟

. . .

ايهـــا الشامخ في اطوادنا ... اخضر الغرة ريان الاهاب
قد تخذناك شعاراً للحجى ... وحملناك صليباً من شهاب
ان تسل عن موعد ما بيننا ... انمـــا موعدنا يوم الحساب

ذكرت أبا سعدى !..

ذكرتك يا لبنان والقلب واجد
وجيش الرزايا في ربوعك سائد
ذكرتك والاحداث هبت رياحها
من الغرب واكتنظت عليك الشدائد
وشعبك يا للحيف - شعب تضاربت
مراميه واستعصى عليه التعاضد
وللحرب سيف مصلت فوق رأسه
ودون امانيه تكاد المكائد
وتلقي به كف السياسة للبلى
وقد نكث العهد الصديق المساعد
ذكرتك - ما ادري - وداؤك مقعد
عزيمتك القعساء والليث رابد
وتفتقد الاساد ما الغاب روعت
وترجى بظلماء الليالي الفراقد
ولاح ابو سعدى لعيني فهزني
من الامس مجد لم ينل منه حاسد
حسام بكف الارز اغمده الردى
فهانت على بيض الصفاح المغامد

بكى الناس فيه الرأي والحزم والوفا
خلال لعمري كلهن محامد
تولى ذمام الحكم لا متعسفا
فساغت لوراد الحقوق الموارد
ذكرت ابا سعدى وللحرب زحمة
على الجبل الجبار والموت حاصد
رموه بها اسراب طير كأنها
بوارق في كبد السما ورواعد
اذا ما تدجى الليل ترمي شواظها
فتغدو قبوراً للضحايا المراقد
وتنشر في طول البلاد وعرضها
تهاويل منها طود لبنان مائد
فهذي نساء حاضنات طفالها
هوالع ما بين البطاح شوارد
وهذي رجال تتقي بصدورها
سهام الردى عن اهلها ونجالد
مغاوير لكن اين منهم سلاحهم . . .
واني لهم . . . والفاتكات روافد

. . .

ذكرت زمان المردة الصيد والسهى
منازلهم والصافنـات المقاعـد

تصد جيوش الفاتحين جيوشهم
وتتركها للطير فيها موائد

فما غربت عن ارزهم شمس عزهم
وما سامهم ذل الاتاوة قائد

ذكرت وما يجدي اذكاري بائدا
من المجد ابلته السنون البوائد

ركائب مرت واضمحلت خفافها
على شاطىء الايام والذكر خالد

اذا لم نشيد مجدنا باكفنا
فليس بمغنينا عن المجد تالد

بني وطني كم احكم النير فيكمو
تعصبكم للدين – والامس شاهد

تخاصمتم باسم المسيح واحمد
على حين ان الله للناس واحد

افي كل دار للعبادة شيدت
يهاض جناح للتآخي وساعد ؟!

اذا لم تذودوا عن حماكم وارضكم
وتلقوا الردى من دونها وتجاهدوا

ابحتم لشذاذ الشعوب دياركم
وهيهات يغني هيكل ومساجد

نظمت خلال دخول جيوش الحلفاء في الحرب الاخيرة الى لبنان

عيد أول أيلول

عيدٌ بأيِّ غدٍ زاهٍ تمنّينا
لا كنتَ يا عيد إن خابت أمانينا
طال الوقوف وفي اكبادنا ظمأ
هل في كؤوسكَ من خمرٍ تروّينا
ام في كؤوسكَ تعليلٌ ومبردةٌ
من ذا يبرّد بالثلج البراكينا
لا بارك الله في يومٍ نُسام به
ضيماً فيبرأ منا مجدُ ماضينا
الم نكن وعيونُ الشرق شاخصةٌ
شعباً على صغرهِ فاق الملايينا
الم نكن وبحارُ الكون مسرحنا
نلقي على ايها شئنا مراسينا
الم نكن لبني الدنيا اساتذة
حتى حروف الهجا من صنع ايدينا
الم نكن وجيوش الفتح مطبقةٌ
من كل صوب نذود العِرض والدينا
نحمي حمى الأرزِ لا الابطال ترهبنا
ولا نهاب عديداً من اعادينا

بجلولك الافق إن تزحف جحافلنا
وتكسف الشمس إن تلمع مواضينا
إنا ثبتنا ثبات الأرزِ في جبلٍ
قد جاور الله في اعلى علينا
وارى الزمان شعوباً في غياهبه
وقصرت يده عن ان تواوينا

...

قل للأولى انتقصوا لبنانَ عن حسدٍ
هل للزرازيرِ ان تلحو الشواهينا
من هذّب اللغة الفصحى وانعشها
واوسع النظم والانشاء تحسينا
من سيّر الصحفَ في القطرين حاملة
من العلوم افانيناً افانينا
هذي مآثرنا ندلي بها حججاً
للجاحد الفضل لا فخراً وتمنينا

...

للأرز عطف على العاصي على بردى
على مرابعَ جيرانٍ ميامينا
خيرُ الجوارِ جوارٌ تستزاد به
اواصر الودّ إحكاماً وتمكينا

...

يا يومَ ايلول والأيام مبدلة
حالاً بحالٍ الا اطلع بالسنا فينا
وانقل الى الأرز انا في مهاجرنا
الشوقُ يقتلنا والذكر يحيينا
قالوا هجرنا وبتّ الهجر عروتنا
بموطنٍ من قديم الدهر ينمينا
« تخرّصاً واحاديثاً ملفقة » ،
لا شيء في الكون عن لبنان يسلينا
من كان موطنهُ مجلى مفاخره
لن يرتضى بدلاً منه ولو حينا

. . .

هل بعد لبنان تحت الشمس من وطنٍ
يسبي النواظرَ او يصبي المحبينا
قد افرغ الله فيه كلَّ قدرتهِ
فجاء مسكاً تُرابُ الأرزِ لا طينا
وكللت يده بالزهر مفرقه
فعانقت قمّة الميزاب صنينا
وفجّر الماء فيه كوثراً عذباً
يحيي فيغني عن الدم الشرايينا
ما للربيع نزوحٌ عن خمائله
يكسو حواشيها ورداً ونسرينا

يسري النسيم وفي انفاسه أرجٌ
تمّا يقبّـــلُ في الفجر الرياحينا
والطير إن تترنم في ارائكها
تخالها الناي إيقاعاً وتلحينا
يصحو النهار على تغريدها مرحاً
ويرقد الليلُ مخموراً ومفتونا

. . .

قومي الأولى هجروا لبنان واقتعدوا
غوارب الغرب هبّوا مستفيقينا
ما العزُّ بالمال إن تحيوا بلا وطن
والناس اوطانهم باتت لهم دينا
إن الغريب يتيمٌ في مطارحه
وإن اصاب بها خصباً وتأمينا
عودوا الى عشكم عودوا الى وطن
قبور اجدادنا فيـــهِ تناديـنا
عودوا الى الأرز ننشر بندَ دولته
من قبلما قبضة الايام تطوينـــا

موكب الجمال

ذاك ركب الجمال يا قلب فاهدأ   نحمد الله مـا لنا او علينا
لا تغرّر اجارك الله يكفي   من شراكِ العيون ما قد لقينا
وصن الدمع في المحاجر واعلم   انـه فضلة الشباب لدينا
تسكين القلوب في اضلع الناس   ومـا زلت لاهفاً مجنونا
إيه يا قلب اي شيء ترجي   اتناسيت ويحـك الاربعينا
ليس في الحب متعة لم تُملأهـا   ولم تقتحم اليها الحصونا
نقل الغانيات عنـك حديثاً   وحديث الهوى يثير الظنونا
وتناشدن من بيانـك شعراً   عن عقود الجمان فيه غنينا
سبـح الله للجمال وبارك   هـذه الطالعات باليمن فينا
لست ادري أأنجمٌ سافراتٌ   بيننا ام عرائسٌ قـد جُلينا
ملكاتٌ بلا عروشٍ ولكن   في عروشٍ من القلوب استوينا
قد غزونَ البلاد من غير جندٍ   وفتحنا القـلوب فتحاً مبينا
نشر الحسن فوقهنَّ بنوداً   ينطوي المجد طيّها إن طُوينا
سرنَ فوق الخضمّ في ماخرات   حسدتها القصور ممـا احتوينا
فازدهى تائراً بهنَّ وراحت   سافناتٍ الرياح تحدو السفينا
لبست في لقائهنَّ الروابي   ثوبهـا السندسي زهواً وزينا
وزهور الرياض بـتنَ غيارى   نافس الورد بينها الياسمينا

قيلت في ملكات الجمال لعام ١٩٢٥ وخص بينهن ملكة جمال اليونان

شغل الدهر يوم لحنَ فلولا فطرة الشر كاد ينسى المنونا
وأبيحت محـــارم اللهو حتى كاد ان يشتهي النهيُ الجنونا
موكب لم يكن لبلقيس يوماً او سليمان بعضهُ او هرونا
حفّهُ اليمن والجلال وباتت اكبد الحشد موطىء الواكبينا
جازت السبعة الطباق وهزّت سدّة العرش صيحة الهاتفينا
قطر الزهر فوقهنّ الايادي مثلما قطر السماءُ الهتونا
ملكة إثر ملكة تتهادى ارايتَ الطاووس يمشي الهوينا
يعبق الطيب من مجسّ خطاهنّ ويعشي جمالهن العيونـــا
قـد تنوعن في الجمال ولكن قد تساوينَ في شقا العاشقينا
رحم الله في الغرام فؤاداً بات في الأسر عند بنت هلينا
قومـك الصيدُ علموك التعالي ام تعلمته غِنوا وفتونا ! ؟
لا ارى الظـلم بالجمال خليقاً وارى الحسن شيمة المحسنينا
حدّثي الناس عن جمال سبرطا واكشفي السر عن فنون اثينا
واطلعي بالذكاء والحسن فينا نذكّر مجد قومك الاقدمينا
انتِ الياذة الجمال وهـــذي روح هوميروس تطلّ علينا
انهلي السمع حكمة عن منرفا وخـذي بالخيال عن ابلونا
وارجعي عولصاً لنا واشيلا فوق تروادة وحول اجينا
فيك من خمرة الالمب معان فاملأي أكؤس الهوى واسكرينا
لا تعيدي زمان سقراط فينا او تسيري على خطى افلاطونا

واذكري مجلساً للايس فيه غالب الحق فيلسوفاً رصينا..
انت بنت الجمال والفنّ والحبّ ثلاثٌ قد المتها اثنينا
كل ما ابدعت بلادكِ في الاجيال أعطيتهِ ببضع سنينا
وبّ شعبٍ مقمصٍ بفتاة كان اولى بعبرة الناظرينا

النارجيلة

أمؤنستي في وحشة الليل كلما تلجُ همومي بي وتشتدُّ كربتي

ظللتُ أشاكيك الهوى وشجونه الى ان تولاكِ الخفوقُ لشكوتي

تخذتك في تلطيف ما بي وسيلة لأطلاق أنفاسي وتصعيد زفرتي

كأني بجومي عكفتُ تعبداً على جمرك الزاكي سحابة ليلتي

كلانا على نارٍ مقيمٌ مقلبٌ دخانك هذا أم بخور عبادتي

اذا ما فراشي ملّني ومللته صحبتكِ حتى ما تطيقين صحبتي

فديتكِ من قيثارة طال عهدها وأبلت مثانيها الرخيمة راحتي

فما تبعث الاصوات الا كأنها بقيةُ أنفاس بخيشوم ميّت

نشيد النادي الفينيقي

كان الشاعر رئيساً للنادي الفينيقي خلال ١٢ سنة وقد نظم له هذا النشيد .

ايه اشبال الاسود   انتم خيرُ الامم
فاقتفوا اثر الجدود   واملأوا الدنيا عظم
وابعثوا فينيقيا

بين صيداء وصور   رفع العلمُ علَم
جاب اطراف البحور   وعلا كل علَم
يملأ الكون ضياء

انتمُ من أمةٍ   أطلعت كلَّ نجيب
ونوامي تربةٍ   طينها مسك وطيب
أمرعت بالانبياء

فاستعيدوا عزكم   بيراع او حسام
ثم صونوا ارزكم   انه البيت الحرام
صانه الله المحنّ

لم يعبكم انكم قد نثرتم كالشهب
فرفعتم شأنكم وكتبتم بالذهب
صفحة ملء الزمن

حسبكم نادي الادب وعكاظ المهجر
محيياً مجدا ذهب من بطون الاعصر
ناشراً ما طويا

بلادي

رأى الشاعر على الشاشة في احدى دور السينما صوراً عن وطنه لبنان فهزه الشوق والحنين ونظم لفوره هذه الابيات

اكل نصيبي من بلادي ان ارى
على الشاشة البيضاء رسم خيالها

احن اليها والموانع جمة
فمن ذا منيلي ساعة في ظلالها

فاحثو على وجهي رمال شطوطها
والهب بالتقبيل ثلج جبالها

الروليتا

ودائرةٍ كالدهـــر تلعب بالمنى
وترجي بروج الحظّ في فلك النحسِ
دعوها روليتا وهي في حكم طبعها
تدور ولكن بالدواهي على الرأس
بها نهمٌ للمال امّا غذوتهـــا
كأنك تغذو النار بالحطب اليبس
يضيع بها حكم الحكيم ورأيهُ
وتنبو عن التقديرِ والظنّ والحدس
لها كرةٌ بيضاءُ حين تخالها
تهاوتْ على العشرين تهوي على الخمس
وحـين تخال الإطراد حليفها
اذا بـك والأرقام تبرز بالعكس
تُناطُ بها الابصار ما اشتدّ جريها
وتحتبسُ الانفاسُ حتى عن الحس
كأنّ قلوب القوم اذ رنّ صوتها
تطيرُ عن الاضلاع من شدة الوجس

يُطوّف فيها القانطون على رجا
ويصدرُ عنها الآملون على يأس

اذا خيّبت في اليوم آمال طالبٍ
تأمّلها في الغد ، والغد كالأمس

دلفتُ اليها عامرَ الجيب في المسا
وولّيتُ عنها في الصباح بلا فلْس

رأيت بها الجنّيَ الشعيّ فرمته
ولم اكُ ادري ان جنيتُ على نفسي

فيا بنتَ بسكال[1] اذا الطير أفلتت ..
وخافتْ شِراكَ الارض شدّت الى الشمس

---

١ – بسكال هو مخترع الروليتا .

نشيد البطولة

ايها الارز الجميل　　　بيت لبنان الحرام
سيفك الماضي الصقيل　　　ملّ في الغمد المقام
فهو من عهدٍ سجين

قم فهذا الكون قائم　　　نحن في عصر الحروب
وارِ الدنيا العظائم　　　وتسوّد في الشعوب
كالجدود الاولين

طالما كانت دمانا　　　في سبيل المجد تسفك
فاذا الارز دعانا　　　لا نبالي كيف نهلك
حول اسوار العرين

طالما في الامس كنا　　　امة مستأسده
تفزع الصحراء منا　　　ان يهب المرده[1]
كالأسود الجائعين

---

١ – مشيراً الى المرده الذين اكرهو (معاوية) على عقد الصلح مع قسطنطين ملك الروم .

نحن عقبان الجبال قد ملأنا الكون فخرا
ونشرنا في المعالي بندنا عصراً فعصرا
وسبقنا السابقين

في ثرى بئر الحكيم رقدت منا اسود[1]
بالدم الذاكي الكريم مهرت سفر الخلود
في سجل العالمين

---

١ – يشير الشاعر الى موقعة بئر الحكيم التي استبسلت فيها الفرقة اللبنانية وفنيت برمتها مما جعل القائد الالماني ان يأمر بدفن قوادها تحت العلم النازي . وقد حملت الصحف الى المهاجر هذا النبأ بالاعجاب .

أدرها

وجّهها الى صديقه الشاعر الكبير شفيق معلوف لمناسبة صدور ديوانه عبقر

أدرها بياناً من مقاطع « عبقرٍ »
ودعني من الصهباء إن كنت مسكري

لعمركَ ما بنت الدنان وإن زكت
بأطيب من بنت البيان وأعطر

واني وإن آنسٌ الى كأس خمرةٍ
فأكثر أنسي بين طرس ومحبر

رضيت من الدنيا اليراعةَ قسمةً
ووليّت ظهري كلّ مالٍ ومتجر

أحِلني الى بيتٍ من الشعر عامرٍ
ومالي وابيات الورى إن تدمّر

. . .

أمتحفنا بالكنز من شعر عبقرٍ
اذاكَ نثارُ التبر أم عقد جوهرِ

فوالله لو اعطي (خرافة) بعضَ ذا
لكان على الاجيال اصدقَ مخبر

قوافٍ كأنّ الوحي انزلها على
لسان نبيٍّ منذرٍ او مبشر

بها ضرَمُ النيران طوراً وتارةً
بها مستساغ السلسبيل المقطر

رميت بها الدنيا فلما استضقتها
وضاقت بها الافلاك من كل نيّر

دمغت كهوف الجنّ حتى تركتها
مشرّدة من حول اسوار عبقر

شياطين من جند ابن داود اوذيت
وربعت بشيطان من الشعر اكبر

فضضت ختام الدهر عنها فاوشكت
تعيد علينا عهد بنيان تدمر

أخذ بعضهم على الشاعر تساهله الطائفي والديني فقال :

قالوا الديانة قلت إرث طارق
في بردتيّ أريجه من والدي

ما عابني فيها افتئآت مشعوذ
في نفسه مني جحيم الحاسد

دعوى الدعيّ لدينه وبلاده
مردودة ان لم تقم بالشاهد

ولربّ ضِلّةِ شاعر متساهل
أقنى وانفع من تعصب عابد

كم بينكم متلبس وطنية
عند الشهادة كان اول جاحد

يا شعر

يا شعر دونك بعد سوق عكاظ هـذا المهرجانْ
دع عنـك حساناً وطرفة كلنا ولدُ الزمانْ
انت النديم ورهن راحِكَ كل سحر وافتنان
فأدر بهـا حتى ترى الأعطاف مثل الخيزران

. . .

أأبا الحظيـّـات التي تزري بمنضود الجمان
مـا عاب طبعك جفوة سلس الزمان لهـا وهان
فالنفس يملؤها الرضى والقلب يملؤه الحنان
ماذا عليك اذا عـــداك المال واعتضت البيان
قـلم الاديب بكفه ان عزّ بزّ الصولجان

. . .

روحي الفداء لعصبة صانت بمهجرها اللسان
ان انشدت شعراؤها رقصت بلبنان القيان
أو هللت خطباؤها فدمشق خافقة الاذان
يسبيك منها الالمعيّ القول والخصب الجنان

ان دبج القطع الحسان تخالها وشي الحسان
وتخال ان يراعه قد شق من قصب الجنان
ما عابنا رهط دخيل جشّم الادب الهوان
فالتبر يعلقه الثرى والقمح يدخله الزوان

. . .

أأبا اديب والولا ما بيننا حرم يصان
يزداد طيباً بالزمان كأنه بنت الدنان
نتواهب العتبى ونجري للعلى فرسي رهان
شرط التكافوء في النهى ان يصدق القلب اللسان

. . .

حيّ (البريد) صحيفة غرّاء حافلة الجفان[1]
تعلو اذا الصحف استفت بالمجانة والطعان
حق الصحافة ان تولاها اليراعات الرزان[2]
من كل ذي علم ابيّ النفس معصوم البنان
هي ملح هذا الكون ان تصلح فقد صلح الكيان
فليتق الله الالى يتطفلون على الخوان

---

١ – جريدة المحتفى به يوسف ناصيف ضاهر وكانت من الصحف الممتازة لمناسبة يوبيلها الفضي .

٢ – الرزان جمع رزينة .

ومن يكمل البنيان كالمبدي

رثى الشاعر بهذه القصيدة نسيبه داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام متذكراً عهداً قضاه معه في القاهرة وذلك في حفلة تأبينية اقيمت له في النادي الفنيقي في ريو جانيرو

أصبّر عنك القلب والقلب في وجد
وازجر فيك الدمع والدمع في مدّ

اذا ما سهام الخطب كن صوائبا
فما صبرنا ينجي ولا حزننا يجدي

بكيتك لا اني من الموت مشفق
عليك وقد امسيت في جنة الخلد

ولكن على قوم اراني منهم
تضيع امانيهم على ضفة اللحد

أداود ، لا تبعد لقد كنت ركننا
وكل بناً من غير ركن الى هدّ

حمدنا بك الدنيا على فرط ضرها
فواخيبة المجزّي دمعاً على الحمد

الا لاجزى الرحمن خيراً صحائفاً
حملن الى قلبي الكروب مع البرد

كفى بي اني يوم نعيك واله
وقد بزّني حزمي وفارقني رشدي

وامرف بي همي ودمعي كأنني
حملت خطوب الناس كلهم وحدي

وهانت على نفسي الحياة فما انا
ابالي من الدنيا بنحس ولا سعد

احن حنين الطير فارق وكره
الى ساعة من عيشنا الغابر الرغد

رعى الله اياماً بمصر قديمة
وردت بها في قربكم اطيب الورد

ظللت ارجيها على طيلة النوى
وامنعها صبري وامنحها سهدي

وقد كنت اشكو البين والبحر بيننا
فكيف وهذا البين ليس بذي حد

أمدُّ الى الاهرام طرفي مسائلاً
ارى العقد لكن أين واسطة العقد

واين الذي فاخرت أمسٍ بعهده
وتهت على اهرام ذيالك العهد

واين الذي في كفه كنت جعبة
اذا ما أضيم الحق انبالها تردي

فكم باكراً القراء فيك يراعة
كما تبكر الانسام نابتة الورد

وارسلها آيات وحيٍ فتارةً
شواظاً وطوراً كالمدام او الشهد

بنى من بنى حتى اتاك مكملاً
ومن يكمل البنيان في الفضل كالمبدي

وما زال خفاق الجناحين حادباً
عليك الى ان بتِ خافقة البند

ولحتِ على القطرين فالشرق كله
مناراً به يؤتم في القرب والبعد

. . .

أداود ان تبكِ الصحافةُ شيخها
فعين العلى شكرى بدمعها الصخد

بروحي خلالاً منك اصفى من الندى
ورأياً على الاحداث كالصارم الهندي

وكفاً اذا ما استبسطت عند حاجة
ترى الغبن ألاّ يتبعَ الرفدُ بالرفد

ملكت يراعاً كان في مصر حجة
وكان لها اغنى على الضيم من جند

فكم لك في ليل الحوادث وقفة
بها عرفوا هزل الرجال من الجد
تكاد تهز المومياء تحمساً
وتنطق إكباراً أبا الهول بالحمد
تحاسد فيك النيل والارز انما
رعيت لكلٍ منهما حرمة العهد
وقفت على مصر يراعاً وفكرة
وجدت على لبنان بالعزم والود
لئن فخرت مصر بلحدك انها
رأت قبلها لبنان يفخر بالمهد
كذا بين طلاب العلى تقسم العلى
ويحتكم الاكفاء في مطلب المجد

. . .

فدتك ميامينٌ من الارز راعها
بان عرين الاسد أقوى من الاسد
وان حسام الاتحاد وما نبا
يأوب على طول القراع الى الغمد
لك الله من قرم شهيد بساحةٍ
تهاوت بها الابطال ندٌ على ند

مواكب مثل البرق في الشرق أو مضت
وابقتْ باذن الدهر قاصفة الرعــــد

قسمت دموعي بينهم غير انني
رأيتك بالتخليد اخلقهم عندي

. . .

سلاماً حبيب القلب ما لاح كوكب
وجاشت بي الذكرى وأرقني وجدي

سقى الله من ارض الكنانة مرقداً
تمنيته في اضلعي وعلى كبدي

لئن قضت الدنيا بتشتيت شملنا
فموعدنا الاخرى على ضفة الخلد

يا دار...

قضى ابرهيم الجر في الوطن فخسر الادب براعة ألمبة والتصوير ريشة موهوبة . وليس من يقدر الرزء قدره مثل ابن عمه جهبذ الادب عقل الجر وقد خادن الفقيد زمناً وخبر فيه مواهبه . ولا بدع اذن ان تمثى في منظومته التالية ألم مزدوج : ألم أوجده عامل النسب وألم أحدثته صلة الادب

مجلة العصبة

يا دارُ كيف احالكِ الحدثانُ   لا أنتِ أنتِ ولا الزمان زمانُ

تلو الخطوب كأنها الضيفان   ألقت بساحتكِ الخطوب رحالها

فإذا بنوكِ كأنهم ما كانوا   ورماكِ رامي النجم في عليائه

فكأنما هـــذي الحياة دخان   وتقلّص الماضي وطارف عزّه

طيباً ولا ريحانها ريّان   يبست رياضك لا البنفسج نافثٌ

من فوق أيكته ولا الكروان   ومضى الربيع فلا الهزار بصادح

جزل البيان كأنـــه سحبان   وخلت مجالس كم عمرن بسامر

أنفاسنا الأقداح والندمان   ما طاب فيها الشعر الا طيّبت

متداركين كأنهم فرسان   لهفي على قوم تهاووا في الردى

سيّان عند الفضل بعد ذهابهم   عزّ الكرام على الورى ام هانوا
ليت البسيطة بعد طيّ بساطهم   طُوِيت وعمّ ربوعها الطوفان

. . .

يا دار اين قديم عهدكِ انني   متلهفٌ لرجوعه ظمآن
خلفت يوم البين فيك ذخائري   اكذا يكون نصيبها الخسران
ما كان أصونها لديك وداعاً   لو ان حبات القلوب تصان
أسرفت بالهجران في طلب العلى   وأمرُّ من طلب العلى الهجران
والسيف ان يهجر طويلاً غمده   للحرب يثلم حده التطعان
ان الاماني المغريات على النوى   مثل المنايا ما لهن امان

. . .

يا دهر ـ قدك لكل حرب هدنة   ما في مهادنة الكفيء هوان
فارمِ الجبال وخلني ان تطلب   جبلاً اشم فما انا ثهلان[1]
قد كنت احمل منك كل ملمة   أيام بابراهيم لي سلوان

. . .

ومروّع بنعيه قلت اتئد   قد روّع المريخ الميزان
وبكى البيان وشق جيب قميصه   الخط والتصوير والاتقان

---

١ ـ ثهلان جبل شامخ ضخم .

روحي الفداء لريشة لو انها سلمت لعزّ بفنها لبنان
خلاّقة كالله الا انها قد فاتها التأليه والسلطان
كم صورة ابدعت في تصويرها دهشت لها الابصار والاذهان
كادت تكون حقيقة ملموسة ولها فم متكلم ولسان
ان ترسم الازهار خلت كأنها قد فجرت في سمعك الالحان
تبدي خوافي النفس إمّا صوّرت وجهاً فيهتك سرّهُ الإعلان
وتكاد لا تدري أماءُ حياته يجري بهِ أم أنّ ذاك دهان

• • •

أأخي وقد حكم القضاء ولم يعد الاّ الرضى بالحكم والاذعان
الله حسبي في حياة صُبحها ومساؤها الآلام والأحزان
والوعناءُ على صغارٍ ما لهم في العيش بعدك حاضن معوان
زُغبُ الجوانح ليس فيهم طائرٌ إنْ يرمِهم متصيّدٌ غضبان
والعيش سنته الوحيدة قوّة لا رحمة ترجى ولا إحسان

• • •

يا تاركي والدار شطّ مزارها والشوق ملء حشاي والتحنان
علّمتني ادبَ اليراعِ وقلت لي زين الحياةِ يراعةٌ وبيان
هلاّ اضفتَ الى الذي علّمتني الصبرُ كيف يكون والسلوان
اني رأيتُ الدمع أدعى للأسى ولو انه درٌّ همى وجمان
وكذا الحياة اذا تنكّر وجهها سيّانِ فيها باسلٌ وجبان

رثاء فوزي المعلوف

لا الحزن ينفعني ولا الصبر — الحكم أبرمَ وانقضى الامرُ
مــا حيلة الولهان في كبد — قرحى يجدد نكئها الذكر
يا ليــل اني ساهر قلق — فعلام ضل طريقـه الفجر
بي علة مما اكابـده — لا الطب يُبرئها ولا السحر
وقف على عيني البكاء فما — من بعد فوزي يبسم الثغر
أنىّ ادير الطرف يـؤلمني — أن المنازل بعدهُ قفر
لا الروض مفترٌ كعادته — في مقلتيّ ولا الضحى نضر
دالت اويقات الصفا وغشت — وجه الوجود غمائم غبر

• • •

فوزي أبعـدك من أصاحبه — حراً له اخلاقـك الغر
هل عائدٌ عهد السجال اذا — دعت المدام وجاوب الشعر
ام كوثر اللذات سائغةٌ — اكوابهُ ومزيجها الصبر
أين الليـالي الغر تجمعنا — نروي فيرهف اذنه البدر
طوتِ المنية عهد صحبتنا — هيهاتِ ليس لطيها نشر
فاذا بنا متفرقان انا — اشقى وانت يريحك القـبر

• • •

كم بت ملهوفاً يساورني   هم ينوء بحمله الصبر
اسعى اليك ورائدي أمل   وأعود ملء جوانحي الذعر
الداء ينخر منك غصن نقاً «م»   وباعظمي من مضّه نخر
تشكو فتشكو مهجي المأ   لله منك بمهجتي شطر
وقفت حيالك كل واسطةٍ   حيرى وباء بعجزه الفكر
الطب اقصر عنك طائله   حتى الصلاة عدتك والنذر
لو تفتدى بالروح ما ادخرت   او تشترى لم يدخر تبر

. . .

وبلي عليك وانت محتضر   نشبت بنحرك للردى ظفر
تعلو وتخفت فيك حشرجة   مدُ الحياة يرده الجزر
برد المنية فيك منسرب   ومن الأسى في اضلعي جمر
أواه من قلبي يكذبه   فيما يرجي حالك النكر
والموت يكذب كل ذي أمل   ويهد اركان المنى الدهر

. . .

لله يومك والانام به   متوجسون كأنه الحشر
متماثلون فكلهم اسف   باكٍ يلين لحاله الصخر
يتسلمون النعش في ورع   فكأنه في الكعبة الستر

. . .

فوزي فجعت الشعر فانصدعت   اصلابه وتعذر الجبر
من للقريض البكر ترسله   حالي النظام كأنه الدر
وشى الخيال الخصب بردته   وحباه من نفحاته الزهر
روح البلاغة فيه فاعلة   بالنفس ما لا تفعل الخمر
اصغى الزمان الى روائِعهِ   وتهامست حيناً به الزُهر
في ذمة التاريخ ما نضدت   منك البنان وابدع الفكر
شرط البيان خلود صاحبه   او لا فبئس النظم والنثر

. . .

فوزي وانت الان في ملأ   متموج في افقه الشعر
فاقر السلام بني القريض اذا   جمعتكم جناته النضر
قل للمعري ان عثرت به   عيش الاديب أبا العلا وقر
ما زالت الشعراء شاكيةً   من دهرها ما يشتكي الحر
فاذا تحل ببعضهم سعةٍ   حل القضا وتصرم العمر
أوَ كلما كسر الردى قلماً   في الشرق بان بضلعه كسر
والشرق مرتهن على قلمٍ   لم تغنه اقلامه الكثر
فوزي سلاماً كلما خفقت   مني الضلوع وهاجني الذكر
نفحت ضريحك كل عاطرةٍ   وسقى عفير ترابك القطر

رثاء جبر ضومط

صرح العلوم ومهد الفن والادب
هذي دموعك إما ادمع العرب ؟

أصاب خطبك اهل الضاد فارتضوا
وشد ما فزعوا فيه الى الكذب

رأوا منارة بحر الروم خابيةً
حيناً ودار النهى عطلاً من الادب

وراعهم يوم جبر انهم فقدوا
من عصبة العلم احناهم على الكتب

الباذل النفس في تثقيف امته
والمنفق العمر بين الدرس والطلب

ان كان للمرء اسباب مخلدة
فكم لجبر الى التخليد من سبب

هذي مناهجه في النشء واضحة
وتلك آثاره في ربعك الرحب

ما كنت يا صرح لولا عصبة كرمت
نظير جبر أتيت الشرق بالعجب

ولا طلعت وليل الجهل معتكر
منارة للهدى وضاءة الشهب

أخرجت للوطن المحبوب ناشئةً
طبعت فيها سجايا العزم والدأب

والنشء كالنبت ان تعهد مغارسه
الى الخبير اتى بالرّيق الرطب

حظ البلاد من الفتيان مثقفة
حظ السفينة من ربانها الدرب

في مصر في الأرز منهم كل نابغة
وفي المهاجر كم من مبدع أرِب

تسألوا يوم جبرٍ عن معلمهم
وعن أب مرشد للروح اي اب

وللمعارف في اهل النهى صلة
أعزُ من صلة الارحام والنسب

. . .

منارة الشرق ان الغرب مطّرد
في جدّه فالى مَ الشرق في لعب

طافت ببابك آمال لنا غرر
طوف الحجيج بركن البيت والحجب

وحوّمت حولك الطلاب ظامئة
تحويمة الطير حول المنهل العذب
هذي البلاد فهزيها الى سبقٍ
قد قيد الدين ساقيها فلم تثب
وحوطيها غداة الريب في فلقٍ
من الحقائق يجلو دجنة الريب
ولقّني القوم ما من امة شطرت
حزبين الا عنت في الحادث الحزب
والدين في الناس ركن للاخاء فان
تفرقوا فيه كانوا موطىء النوب
أشقى الخلائق شعب ليس بعصمه
عند الملمّ وشيج الدم والعصب
يا شرق حسبك اقوالاً بـلا عمل
لا يدفع المستضام الخَطب بالخُطب
يظلُّ يغزو قوي الخلق اضعفهم
فان يجـد اهبةً للذود ينقلب
والهر في ضعفه يجتاح مسبعةً
ان يأنس الخلف من آسادها الغضب
يا جبر ما الكسرُ في الفصحى بمنجبر
والدهرُ لم يبق من صلب لها صلِب

في الامس ربعت بعبدالله فاتّشحت
ثوب الحداد على صنّاجة العرب
واليوم تلطم خديها مودعةً
بقية الامـــل الهاوي الى الترب
لو كان للشعب ان يفدي نوابغه
فداكِ بالغالِيَين الروح والنشب

. . .

يا انجماً عن سماء الارز آفـــلة
وخلفها كبدُ العلياء في وجَب
في ذمة العلم إن غابت وان طلعت
فنورها عن سماء الشرق لم يغب
لا يأخذنّ علينا القول آخذهُ
ومجـــد لبنان في ابرادنا القُشُب
لنا مآثر في الفصحى محجّلة
منقوشة بيد التاريخ بالذهب
من العراق الى مصرٍ الى يمنٍ
ام اللغات بعثناها على الحقب
في عصبة من أساطين البيان لهم
بندُ الامارة في جنديّة الادب
الخالعين على الانشاء جدّته
والمبدلين جديب الشعر بالخِصب

والحالبين لغات الارض اشطرها
والمالئين بيوت العلم بالكتب

يا أمة عند بحر الروم جاثمةٌ
شاب الزمان ولم تهرم ولم تشب

مرّت عليك غزاة الارض زالقةٌ
زلق النسور عن الابراج والقبب

لا يحزنْنك حال فيك منقلب
فليس في الدهر حال غير منقلب

خذي الخطوب اذا كرّت نواجذها
بناجزٍ بجميل الراي مصطحب

ودونك العلم ركناً للعلى فخذي
بـه وشيدي على اقطابه النُجب

هم الألى وضعوا في كل مملكةٍ
أس البناء وصانوه من الشعب

فعدّه الملك اخلاقٌ ومعرفـة
قبل السيوف وقبل الجحفل اللجب

وقدّمي قبر جبر وليكن حرماً
يحجّه ادباء العـالم العربي

فكل من خدم الآداب خدمتهُ
رسول هدي الى اوطانه ونبي

رثاء صروف

يا ناعيَ العلم بين النيل والهرمِ
أثرت في الشرق شجو العرب والعجمِ

نعيت آخر مصباحٍ اضاء لنا
وفضلة الامل المعقود بالقلم

أكلَّ يومٍ لهذا الشرق كارثةٌ
يئنُّ منها وجرحٌ غير ملتئم

لم يبقَ للعلم حوض غير منثلمٍ
فيه وللمجد ركن غير منهدم

كأنما الدهر ذو وترٍ يطالبه
بثأره ويقاضيه دماً بدم

لو ان يمناه للتاريخ نافذة
لجرد الشرق من تاريخه الفخم

يا دهر ان كنت موتوراً وذا غرم
هذا غريمك مشلول القوى فنم

• • •

أعظم بيومِك يا صروف كم صعقت
اذن العــلى وتمنت نعمة الصمم

ساد المقطم واهتزت جوانبه
لله من علمٍ يأسى على علم

تمشي الكنانة في يأسٍ مشاطرة
لبنان فيك مصاباً غير مقتسم

تودّ لو تفتدي برّاً ومكرمة
وديعة الارز بالخزان والهرم

• • •

يا رافعاً علم الفصحى وحاميهُ
خمسين عاماً بلا يأسٍ ولا سأم

اني اخاف على الفصحى وقد عصفت
ريــح المنية بالحامي وبالعَلم

لله مرقمك المتان عارضهُ
انهلتنا العلم من سلساله الشبم

لولاه ما لمعت للشرق بارقة
من المعارف في آفاقه الدُهُم

ولا تذوّق نشءُ الشرق مقتطفاً
من جنة الغرب معسولاً بكل فم

• • •

يا مصر إنّا كلّنا في الأسى شرعٌ
وكل قلب جريح بالمصاب دم

لا شيء أجمعَ للاحباب من ألمٍ
وفي الرزايا دليل ليس في النعم

ان نبكِ صروف لم نبخل بمنتثرٍ
من الدموع على زغلول منسجم

يا سعدُ كنت لهذا الشرق حجته
وملقيَ المثل الأعلى على الامم

أهبتَ بالنيل حتى المومياء رنت
ومن أبي الهول حُلّت عقدة البكم

كأنما القطر في كفيّك مجتمعاً
سيفٌ على الغرب مصقولٌ من الهمم

يا ويح مصرٍ اذا لم تلقَ ممتشقاً
لسيفها بعد زغلولٍ اخا شمم

. . .

ما للصحافة في مصر يفجعها
ما فجع الارز بالعلامة العلم

تبكي كبيرا من الكتاب رائية
وتبتلى بصغير منهم قزم

. . .

يهنيك يا فيلسوف الشرق ما تركت
كفاك من اثرٍ في الجيل مرتسم

ان الليالى التي احييتها سهراً
عند المهيمن منهـــا الغنمُ فاغتنم

إمّا لقيت بـــدار الخلد طائفة
من نابهينا رجال الفكر والقلم

فانقل لهم من حديث الشرق اطيبه
واكتم عليهم حديث الشجو والالم

هم عالجوا همَّهُ في العيش وارتمضوا
فلا تزدهم وراء الموت مـــا بهم

---

١ – نظمت خصيصاً للحفلة التأبينية التي اقامها النادي الفينيقي لفقيد صاحب المقطم .

بين عامين

ايها العام قبل ان تتوارى … خلف سجف الدهور قف نتودع

وقفة ، قبل ان تكرّ ثوانٍ … باقيات على شفاك المصدّع

ان ما بيننا حديث عتابٍ … من هديل الحمام أشجى واوقع

كنت بالأمس عاهلاً مستبداً … مالك اليوم عن سريرك تخلع

ان كأساً أدرت للناس منها … علقها ، قاربت شفاهك فاجرع

قد شطرت الانام شطرين هذا … منك في مأمن ، وذاك مروّع

كم فقيرٍ حبوتـه بثراءٍ … وثري اداتَ منـه فأدقع

وأماني بدلتهـا بمنايا … ومنايا دفعتها ليس تُدفع

وأمور صرفتها عن مراميها … الجسام من غير قصدٍ ومطمع

أنت يا ابن الزمان ما لك عهدٌ … كل عهدٍ مع الزمان مُضيَّع

انت كالغانيات خلقاً وخُلقاً … تصدق الناس تارة ثم تخدع

انت كالبحر ان وهبت بمدٍ … رحت بالجزر تسترد وتمنع

لا تلمني على العتاب فـاني … طافح النفس من خطوبك موجع

لملم الذيل وارتحل بأمانٍ … علّ وجه الجديد بالخير يطلع

---

١ – القيت ليلة راس السنة في النادي الفينيقي .

ايهـــا المقبل الجديد سلاماً بسم الفجر عن محياك فاسطع
ما ترى الناس والبشائر زفّت وطبول السرور في الارض تقرع
عكفاً لا يعون ، حول رحيقٍ ذاب كالتبر في الكؤوس وشعشع
كلهم راقب رسول سلام فيك ، يولي النفوس ما تتوقع
فمنى جمة اليك تُرجّى ورغابٌ لجوجة تتنوع
بينما المترفات تطلب ماساً تطلب البائسات خبزاً لتشبع

. . .

يا لناديٍ اظلّه البشر حتى خُلته للنعيم والزهو مرتع
طلعت للجمال فيه بدورٌ فغدا بالبدور أفقاً مرصّع
رُفعت فيه من ورودٍ قبابٌ زاهياتٌ ، اريجها يتضوع
ماجت الكهرباء فيها فلاحت مثل قوس السحاب لوناً ومطلع
يستفز النفوس للرقص عزفٌ آخذ سحره بلبٍ ومسمع
وحسان يزينهن عفاف مسفرات ، وبالحيا تتقنع
يقتسمن السرور كراً وفراً دائرات تجيء آناً وترجع
فقدودٌ وهت لجذب بنانٍ تتثنى مع الغناء الموقـــع
وجباه تنفس الصبح فيهـا قطرات الندى بهـا تتلمع
وصدورٌ كأنما الطير فيها خافقات ، بها المنى تتدفع
منّ هذي النفوس بالوعد يا عام فان النفوس بالوعـد تقنع
واغدق الخيرَ فالجميلُ جميلٌ ودع الناس بالصفا تتمتع

النجوى

هي القصيدة التي القاها الشاعر وهو رئيس النادي الفينيقي ليلة اليوم العشرين من شهر آب سنة ١٩٢٧ لمناسبة الاحتفال الشائق في عيد النادي السنوي .

هذا الشبابُ وقد اشفت نواصيه	على المشيب امن رجعى لماضيهِ
ما للاماني جفتني بعد بسمتها	وللغواني بــدلن العطف بالتيه
اراهنّ هلال لاح في غسقي	ومن سواد يراعي ما يواريه
ان كان بعض بياض الشعر ضيّعني	واضيعة الشعر بين الناس القيه
بالله يا فتيات الحي لا طلعت	اقمار كنّ بربعٍ لست آويه
ان اليراع الذي زانت لآلئه	اطواقكنّ يكاد اليأس يفريه
اردن للشاعر الباكي بشاشته	وصلن ما انبتّ من وثقى امانيه
او لا اعدنَ بقايا مهجة نضبت	فالدن اطيب ما فيه بواقيه

• • •

يا بلبل الروض ما للحظ فرقنا	ونحن صنوان في سجع وتأويه

الحب حولك منثور لناقده والماء عندك موفورٌ لحاسيه
تصاحب الطير لا تدهاك داهية واصحب القوم لا اوقى دواهيه
كم في صحابي من ابكي فاضحكه وفي صحابك من تبكي فتبكيه

. . .

حنَّ الغريب فما تصفو مشاربه ودونهن رشاش من مآقيه
كأنما وهو في الحمراء مطرحه اليف شوق الى الزوراء يزجيه
لولا التأسي باخوان الصفاء لما سمعت من شعره الا مراثيه

. . .

لله ناد اعادت عهد اندلسٍ حفلاته وعكاظ فمثّلت فيه
قامت على الخلق العالي دعائمه وزانت اللغة الفصحى حواشيه
روض لمختلف الاثمار من ادب فالنثر والشعر ضرب من مجانيه
كم من خطيب بليغ هز منبره وشاعر لعبت فينا قوافيه
وباحث ثقـــة دان البيان له فقلد السمع درا من معانيه
ترف من فوقه روح الشباب فمن ندب يخف الى ندب يلاقيه
وتؤنس الخفرات البيض عقوته كانهن ابتسامات على فيــه

هذي لياليه غراء مبلجة   كم باتت الشمس غيري من لياليه

يكاد يخطف منك اللب مرقصه   والنور والنور يثافي نواحيه

فما تماوج في أرجائه نغم   الا توهمت امـــلاكاً تغنيه

ولا تثنى قوام في مخاصرة   إلاّ حكى غصن بان في تثنيه

يدغدغ الأنس فيه كل آنسة   فما تني تنثنى مع مثانيه

كم شد للحب بين القوم آصرة   وبثّ روحاً جديداً من مباديه

ولمّ من شملهم ما كان منفرطاً   فنظم الشمل وانضمّت لآليه

. . .

صحبي الألى رفعوا النادي بهمتهم   يهنيكم العيد في ابهى مجاليه

ان الغراس التي القت اناملكم   قـد اثمرت ثمراً هذي دوانيه

كم ذا سهرنا على النادي وساورنا   ما ساور الام في طفل تربيه

ام اذا لـــبن الثديين اعوزها   راحت بدمع عينيها تغذيه

لا ضيع الله للنادي وفتيتـــه   فضلاً على عاتق الايام نلقيه

سلام على الوادي

هي معارضة لاخيه شكرالله من ذات الوزن والقافية

سلام على عهد ترامى بنا نهبا
وعيش جنينا من بواكره الرطبا

سلام على الوادي الذي قد اظلني
ليالي لا ادري بها الهم والكربا

ليالي كان الدهر من ندمائها
وما زلت من تذكارها انتشي صبا

فيا لك من وادٍ تناغت طيوره
وفجّر من شلاله البارد العذبا

يصبّ لجينا فوق ياقوت تربه
ويجري عقيقاً في جداوله الشهبا

مرحت على شطيه امرد يافعا
وجررت أثواب الشباب به قشبا

اخذت رنين الشعر عن طير أيكه
واوحت الى قلبي كواعبه الحبا

تحف بـه من جانبيه خمائل ؟
تعطر انفاس النسيم اذا هبا

تجاوب فيه الطير والماء والصدى
فاي مزيج من تلاحينه أصبى

بكل بلاد للربيع ترحل
وفيه ربيع لا يزال المدى خصبا

. . .

رعى الله احلام الشباب فانها
عذاب وان جشمنني المرتقى الصعبا

سعيت وما كل المساعي حميدة
وبئت وما اشكو زماناً ولا صحبا

بليت بعزم كلما دك بعضه
ملمٌ من الاحداث اكسبه دأبا

كفاني فخاراً انني غير آبه
لفتك الليالي او مقيم لها ذنبا

يعاتب غيري دهره وصحابه
لعمرك ان العجز ان تظهر العتبا

على البطل المغوار ان يقحم الوغى
وليس على المغوار ان يضمن الغلبا

أنا وهيَ

جلست اردد تحت النجوم   عليها احاديثنا الغابره
فاطربها انني مـا ازال   احن للفتنها الساحره
واني ولوع بانفاسها   اشم بها الوردة العاطره

فقلت دفنّا ربيع الشباب   ولم يبق في العمر شيء جميل
تعالي – لنرحل قبل الكهولة   ان الكهولة عبء ثقيلُ

فالوت علـيّ وفي مقلتيها   بريق غرام ونجوى عتاب
وقالت انمضي وماذا يكون ؟   اذا ما احتوتنا ركام التراب
ولو ان من عودة للحياة   نجدد فيها الهوى والشباب
لهان علينا فراق الوجود   نروح عـلى امل بالاياب

. . .

فادهشني الصدق في قولهـا   وحوّلت جدّ الكلام ابتسام
وقمت أطوّق بالساعدين   قواماً وخصراً كعنق الحمام
واورشف من ثغرها ما يطيب   وأجرع من وصلها ما يرام

الزمن الشحيح

لله لبنان الحبيب وذكر أيام الفتوح[1]
يوحي الشباب لنا الهوى وكلاهما للشعر موح
تلك المحاسن في الجبال وفي الوهاد وفي السفوح
والبحر منبسط الرحاب كخاطر الحرّ السموح
صورٌ يغصّ بها الفؤاد فتنجلي فتناً لروحي

. . .

بحشوش – يا عرس الربيع ومنبت الادب الصحيح[2]
بك فتية وثب الزمان بهـا الى دنيا الطموح
شادت لموطنها عـلى أقلامها شمّ الصروح ؟ !
ما زلت اذكرها واذكر كل ذي خلق صريح
عشراء ايام الشباب ورفقة العهد المليح

---

١ – الفتوح مقاطعة من قضاء كسروان تقع فيها بحشوش بلدة الشاعر .

٢ – وقـد اعطت كبار الكتاب والصحفيين امثال الفقيد واخيه شكرالله وداود بركات رئيس تحرير جريدة الاهرام المصرية خلال ٥٠ سنة وبطرس معوض وابراهيم الجر الطبيب والشاعر والرسام ونجله خليل الجر العالم الكبير الذي ترأس الجامعة الوطنية .

تتناهب الافراح بين كروم واديك الفسيح
نلهو ونطفر مثل طيرك بين صفصاف ودوح
ونعبّ من خمر الدنان على غبوق او صبوح
نلقى الحياة بأوجه كالشمس في جوٍ صبيح
ونحنّ للنغم الحنون يأنّ في الناي الذبيح
ونجنّ للاوتار في كفّ المغني المستريح
نهدي الى الغيد الرواقص حولنا زهر المديح
وكأننا حرس العفاف لكل آنسة جموح
والبدر منبسط الشعاع على المدارج والسطوح
مصغ لالحان الجداول بين زغردة ونوح
ولعربدات المدمنين تضيع في الليل الصفوح

. . .

الله من شمل تفرق والصفاء على جنوح
الله من ماض أطل عليّ كالنسر الجريح
ما كنت اعلم ان ايام اللقاء الى نزوح
حتى نزلت بهذه الاصقاع كالنضو الطليح
فعرفت للأيام خدعتها والزمن الشحيح

اذا رضيتَ عني

القاها في الحفلة التكريمية التي اقامتها له الجالية اللبنانية في العاصمة

ملامك إغراءٌ فيا نفس أقصري
أليس الورى رهن القضاء المقدر

أضيماً وحولي من صحابي عصبةٌ
اشد بها ازري وانسج مغفري

اذا كان اصحابي بناة كرامتي
فيا دهر هدّم ما استطعت ودمر

ويا نعمَ الدنيا لقد هنتِ أقبلي
على الحرّ إقبالاً وان شئت فادبري

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فما لي وللجهال تهجو وتفتري

أرى الود بين الناس خير ذخيرة
فان تظفري بالود يا نفس ذخري

لعمري ما الود الصحيح بذاهب
وقد تذهب الدنيا بمال ومتجر

على ان خير الود ما يستوي به
لسان وقلب بين سرٍّ ومجهر

. . . .

صحابي لقد جزتم بقدري مسافة
ضللت بها عن كنه نفسي ومخبري

فمن لي بروح البحتري ببردتي
وقد جدتم جود الخليفة جعفر

خلعتم على كتفيَّ فضفاض مطرف
من الفضل ان اسحب به الذيل أعثر

وقلدتم اذني من صوغ مدحكم
قلائد من در نفيس وجوهر

أأكرم من اجل البيان وبينكم
نوابغ اقلام وأعلام منبر

واجزى على الشيء القليل بكثرة
اذن كثركم قد كان اولى باكثر

اجلكم عن ضلة الرأي انما
نظرتم بمنظار الولاء المكبر

اذا ملأ المحبوب عـين محبة
فسيان ان تخف العيوب وتظهر

ابنتم فلم تبقوا بياناً لقائل
فها انا ان أدع القريض يقصر

اذا فات نظمي ان يفي حق شكركم
نظمت جمان الشكر مع دمع محجري

رعى الله في النادي زماناً به صفت
كؤوسي في حالي ورودي ومصدري

دلفت الى حصن السموأل بينكم
وأبت بركب من علاه ومفخر

بروحي خلال فيكم ما تجمعت
باكرم نفس في الشباب واطهر

نبالة اخلاق وصدق مودة
ووفرة آداب وعفة مئزر

ومنطويات في الضلوع كأنها
قوارير مسك طيب العرف اذفر

يهيب بهـا داعي الوفا فيهزها
الى الاثر المحمود هزة سمهري

كأن عهود الود طي شغافها
دراهم في كفيّ بخيل مقتر

. . .

سلام على النادي اذا شطت النوى
سلام على صحبي هناك ومعشري

سلام على تلك المجالس انها
مناهل شهدٍ للقلوب و كوثر

سلام على الاداب والعلم ما اعتلى
اميرُ بيانٍ منكم عود منبر

سلام على السحر الحلال اذا جرى
به الشعر جريَ السلسبيل المفجّر

سلام عليكم ما تذكرت عهدكم
فرنحٌ أعطافي رحيق التذكر

رثاء ميشال معلوف

راحَ من راحَ من صحابي فمالي
لا انا لاحق ولا انا سالي

هممت للمسير دهم المطايا
ليت شعري متى يكون ارتحالي

ليت من زيّن النوى لفؤادي
زيّن الصبر عند زمّ الرحال

هجرةٌ طالت الليالي عليها
لا رعى اللهُ عهدها من ليالي

أخلقتْ جدّةَ الشباب وحالتْ
بين شوق النهى ووصل المعالي

نثرت شملنا بمضطرب الارض
كما تنثر العقود الغوالي

وقضت بالدموع فينا فما
ننفكُّ نبكي رفاقنا بالتوالي

كلّما افقنا زها بهلالٍ
يعتريهِ الخسوف قبل الكمال

نحنُ في غمرةٍ من الحزن نبكي
رجلًا كانَ من خيار الرجال

وصديقاً لو الفدا مستطاعٌ
لفدته النفوس في كل غال

أودعَ الله بين جنبيه قلباً
أينَ من صفوهِ صفاءُ اللآلي

وخلالاً كأنها السحر لطفاً
يا حنيني لسحر تلك الخلال

يرتع الصحب في رياض وفاها
مرتع الطير من وريفِ الظلال

شاعرٌ يستبيك من نظمه الدرُّ
كما يستبيك خِصبُ الخيال

وينمُّ البيان عن نفس حرٍّ
إنَّ حرَّ الفعال حرُّ المقال

• • •

أيها الراحلُ العزيز رويداً
نحنُ والصبر بعدكم في نضال

غبتَ عنا فخلتُ يومك شهراً
ولياليك كالسنين الطوال

ما ترى حالنا وانت ضجيع المو
ت في سفرةٍ بغير مآل

كم رعينا النجوم في الامس شوقاً
وارتقبنا اللقا ارتقاب الهلال

وسألنا النسيم والطير والبحر
فكان السكوت رد السؤال

سكت الرسل من حديثك حتى
نطق البرق منذراً بالوبال

علّة اخلفتْ تعلة صحب
وقضتْ بانقضاء عهد الوصال

. . .

رحم الله يا صديقي زماناً
مرَّ من عمرنا مرور الخيال

يوم كنا وللشباب مِراحٌ
والهوى غالبٌ على أيّ حال

تطلع الشمس في الكؤوس فتجلو
ما غشانا من الهموم الثقال

وتفيض النفوس بالشعر طوراً
مُستمداً وتارة في ارتجال

نتعالى عن الملا واذا ما
مادت الارض حولنا لا نبالي

ما ادوت اللحاظ في البحر الا ّ
جاشت الذكريات فوراً ببالي

مستحمُ الحسان كوبكبانا
كم امماهُ في الضحى والزوال

ولقينا الدمى على الرمل تمشى
كالطواويس في تثني الدلال

ذلك الشاطىء الجميلُ تعرّى
بعدكم من جمال ذاك الجمال

فغشا افقهُ الغمام ولاحتْ
دكنة الحزن فوق تلك الجبال

. . .

طاب منك المقام في جنّة الخلد
فـلا تبتئس لذا الانتقال

وانهل الكوثر المسلسل يزري
بالندى الرطب والنمير الزلال

قل لفوزي غداة تنظر فوزي
لك في الارض صاحبٌ غير سالي

إنّ امرأ لقيتاه سنلقى
مثلة والورى رهين الزوال

يرثي بهذه القصيدة صديقه الشاعر الكبير ميشال معلوف رئيس العصبة الاندلسية المتوفى في لبنان

رسول الأرز

رسول الارز ما للارز يشكو وأنت طبيبه نعم الطبيبُ
لقد نالت عوادي الدهر منه والقت رحلها فيه الخطوب
فــلا أملٌ ولا عمل مفيد ولا ضرعٌ ـ ولا زرعٌ خصيب
نأت ابناؤه عنــه اضطراراً وحــلّ مكانهم فيه الغريب
عهدتك ان تهب بالارز لبّى نداءك شعبه الفطن النجيب
ألم تــك انت سائسه قديماً فما لك لا تجير ولا تجيب
أهب به لا لحرب بل لمجدٍ فهذا يومه الضنك العصيب
فديت الارز من بلد كريم حصاهُ لآلىء وثراه طيب !
اذا اجسامنا هجرت حماه فقد قبعت بساحته القلوب !

رحب في هذه الابيات بسيادة المطران عبدالله يوم زار البرازيل .

علم النّادي الفينيقي[1]

ألا ايها البند الذي سرت خافقاً
على أبحر الدنيا فجبت حدودها

تحوم عليك اليوم اشبال أمة
توحّد في ساح المعالي جهودها

أعدت لنا ذكر الجدود ومجدهم
وهل تنكر الاحفاد يوماً جدودها

نمتنا فروع للمعالي زكيّة
أقامت على حدّ السيوف شهودها

لك الله من بند جمعت شتيتنا
على غاية جلّى فكنّا جنودها

عقدنا على حفظ الولاء خناصراً
لئن قطّعوها لا نحلّ عقودها

---

١ – نظم هذا النشيد للنادي الفينيقي الذي ترأسه سنوات عديدة وكان من ازهر النوادي الادبية والاجتماعية في عهده (انظر المقدمة) .

اليتيمة العمياء

فتاة رماها الدهر باليتم والعمى
ومن لضعيف الكتف في باهظ الحملِ

توامتْ بديجور الحياة شريدةً
وليس لها ان تتقي ذلة السؤل

تطوف على الابواب في كسب قوتها
وتلمس جدران الطريق على مهل

تكادُ لأطمارٍ عليهـا رثيثةٍ
تسير بـلا ثوبٍ وتمشي بـلا نعل

تحس بأن الكون رحبٌ فضاؤهُ
وما ضاق الاّ دون مطلبها القلّ

وتدركُ منه نورهُ فيمضّها
تخبّطها في ظلمة كثة السدل

وتسمع عن ازهارهِ وطيورهِ
وزهر دراريهِ ومنظرها الرتـل

وعن بهجة الدنيا وغبطة ناسِها
وعن مرتع الاحباب او ملتقى الاهل

فتبكي وما تشفي المدامع غلّةً
وبين حنايا صدرها مرجلٌ يغلي

. . .

رآها فتى غرُّ الخلاقِ ببابهِ
تدبُّ بواهي عزمها دبة النمل
وتبسط كفيْ دميةٍ نحو امه
وتبدل ماء الوجه في طلب الاكل
وشام بها حسناً تلفّع بالشقا
وطهر ملاكٍ قد تدثر بالذلِّ
فاشفق ان يلقى فتاةً تعيسةً
ولا تتمشى فيه عاطفة النبل

. . .

رأى امه تحنو عليها وهكذا
على بؤساء الناس يحنو ذوو الفضل
فقال لها يا أمِّ ما ضرَّ اننا
نذود عن العمياء داهية الثكل
فننزلها من دارنا خير منزل
ونبدلها حزن المعيشة بالسهل
اذا نحن أوتينا الثراء ولم نكن
على فقراء الناس أدعى الى البذل

فأيّ ثوابٍ نرتجي عند ربنا
وما هو فضل الجود يوماً على البخل

. . .

أصاب الفتى في قوله عطف امه
وهزّ بها طيب الأرومة والاصل

وما هي الا ليلة ثم اصبحت
من البؤس لمياء اليتيمة في حل

وباتت بكنف العز تسحب ذيلها
وتحمد فضل المبدل الذل بالدلِّ

جلاها رخاء العيش فازداد حسنها
كما ينجلي حدُّ الفرندِ على الصقل

تفتح ورد الحسن بعد ذبوله
على قامة هيفاء كالغصن الرتل

. . .

وراح الفتى في كل صبح يزورها
ويشبعها انساً بمنطقه الجزل

فو الله ما الازهار في الروض إن ذوت
وجادت عليها السحب في صيّب الوبل

بأشرقَ منها مبسماً وهو جالسٌ
يباسطها بالجد حيناً وبالهزل

فما ينثني حتى يبدّد غمّها
ويتركها مفتونة القلب والعقل

. . .

فأيقظ في صدر الفتاة انعطافهُ
دبيب هوى في النفس لم يكُ من قبل
وبات لها شغلاً عن العيش شاغلاً
وناهيك بالحب المبرّح من شغل
يساورها في كل آنٍ خياله
فتهفو اليه هفوة الام للطفل
يلوح لها برق الرجا وسط يأسها
ويلمع في ليل العمى كوكب الفأل
وما هي بالغفلى عن البون بينها
وبين الذي تهوى من الحال والشكل

. . .

ولجّ بها داعي الهوى فأمضّها
وأسهدَ جفنيها فأشفت على السل
وراحت تعاني الحب والداء والعمى
ثلاث رزايا مدنياتٍ من القتل
تودُّ لو ان الفقر ظل مخيماً
عليها ولم تدرج الى ذلك النزل

ولم ترتدِ الثوب الجميل ولم تقم
على نِعمٍ في العيش وارفة الظل
ولم تتفتح للحب اكمام قلبها
فترشفَ كأس الموت علاً على علّ

. . .

وكان الفتى في لهوة عن شجونها
بآنسةٍ جذّابة الأعين النجل
حكته وحاكاها خلاقاً وخلقةً
وكم يلتقي الاكفاء مثل الى مثل
تعهّد غرس الحب في روض قلبها
زماناً الى ان جاء بالثمر الخضل
وحان زمان الاقتران وقد سرت
بشائره في الناس ميمونة النقل
وبشّرتِ العمياء في قرب عرسه
فكانت لها البشرى أحد من النصل
فوالله لم تبغِ القران بمثله
ولا طمحت بالفكر يوماً الى بعل
ولكن لأمر ليس يدرك سره
وعاصفةٍ هوجاء في قلب معتلّ
أحبتْ وما أدراك ما الحب إنه
انانية في النفس راسخة الاصل

ولما دنا يوم الزواج وآذنت
بتحقيق احلام الهوى ليلة الوصل

وغنّت طيور الأنس والراح شعشعت
وغصّت رحاب الدار بالصحب والاهل

اذا بفتاةٍ كالخيال نحيلةٍ
مثقّلة الكفين بالورد والفل

تحثُّ مقعد العرسين تائهة الخطى
مقرّحة الاجفان واجفة الرجل

وهمّت بإلقاء الكلام فخانها
فماتت وكان الموت خاتمة الفصل[1]

١ – قصة وقعت حوادثها في عاصمة الاتحاد البرازيلي ريو جانيرو عام ١٩٢٥ .

ربيبا الهوى

قصة جرت حوادثها في لبنان

رشفا الهوى عذباً على صغرٍ   وتجرّعاه شجىً على كبر
طفلان في عمر الضحى لهما   طهر الملاك وطلعة القمر
قد أودعا سرّ البقا فهما   زوجان من انثى ومن ذكر
متجاوران يشدُّ حبهما   قفز الجبال ولعبة الأكر
ان يبكرا للروض في لعبٍ   لفت النسيم نواظر الزهر
او يقفلا متغنيين شدت   لغناهما الاطيار في الشجر
يتواثبان الى المراح كما   وثبت عطاش الطير للغُدُر
فاذا الفراشة أزّ جانحها   طارا باجنحة من البطر
واذا ترآى الهر منطلقاً   حملا عليه حملة النمر
واذا بدا قوس السحاب على   رتلٍ من الالوان مزدهر
ركبا اليه الريح واصطفقا   مثل اصطفاق الطائر الطفر
يتسلقان الغصن تسعفه   حيناً ويسعفها لدى الخطر
فاذا اصابا روقه نزلا   يتقاسمان اطايب الثمر
ان يجريا للسبق خلتهما   سهمين منطلقين عن وتر

يتراشقان الماء عن هوس غرقين بين الطين والمدر
يتعاطفان وليس عاطفة يتهامسان وليس من خبر

. . .

كبرا وقد كبر الهوى بهما فاذا فتى كالصارم الذكر
غض الاهاب يزينه خلق قرن الذكاء به الى الكبر
واذا بها حسناء ان بسمت يتفتق المرجان عن درر
ريانة الاعطاف فاتنة تختال بين الدل والخفر
واذا بنهديها وقد برزا رمانتان بأملدٍ نضر
لمس الهوى وتر الصبا فاذا نغم غريب غير منتظر
واذا بها من لمسه رعش واذا به رعش من النظر
واذا بطعم اللثم مختلف واذا ببرد الثغر كالشعر
ان يلقها فبنائر خفق او تلقه فبراقص ذعر
ولطالما من قبل ذا التقيا والقلب لم يخفق ولم يثر
يا قلب ان الحب في الكبر هو غير ذاك الحب في الصغر

. . .

مرت على عهد الهوى فرصٌ سلما بها من أعين القدر
وتبدلاً منها بآونة مملوءة بالروع والغير
فاذا هما والدين بينهما لم يبق من امل ولم يذر

هو عيسويٌ وهي مسلمة   تالله اين هما من الوطر
لمسا الحراجة في غرامهما   وتبينّا ما فيه من غرر
ونمى الى الاباء حبهما   فتنكرا لفظاعة الخبر
واشتد والدها فزج بها   في الخدر بين العنف والخفر
ونهى الترائب عن زيارتها   فغدت بلا سلوى ولا سمر
وتناثرت احلام صبوتها   نثر الخريف لوارق الشجر
ذكرت زمان لقاهما فهفت   شوقاً الى ايامه الغرر
وبكت فيالك من مدلهةٍ   فنيت من التبريح والسهر
دسٌ الوشاة بسمعها خبراً   ان الذي تهواه في سفر
فاذا نيوب الداء تنهشها   واذا رسول الموت في الاثر..

. . .

غمر الدجى في سفح رابية   جدثاً جلته اشعّة القمر
مستوحش الارجاء يؤنسه   شدو الهزار ووكفة المطر
قد ظلل الصفصاف جانبه   ما بين متسق ومنكسر
يسعى الى جنباته شبح   قلق الخطى يمشي على حذر
حتى اذا وافى الضريح جثا   متواصل الزفرات والعبر
متقطع الانفاس تحسبها   مطلوقة من صدر محتضر
لثم الضريح وصاح مرتمياً   متبرّكاً بترابه العفر
يا قبر هلاّ فيك متسع   لاثنين مؤتلفين من صغر

يا قبر كانت لي وكنت لها ... بالامس مثل النور للبصر
ربّاه جلّ الدين عن عنت ... وعلا عن الاكراه والضرر
ربّاه فيك اضلنا زمر ... هي شرّ من في الناس من زمر
أتكون رباً واحداً صمداً ... وتعدد الأديان في البشر
لا خير في الاديان حائلة ... بين القلوب وحبها الطهر

. . .

ارفيقة الغدوات لا عبثت ... كف البلى بجمالك الغضر
وشريكة الوثبات لا نعمت ... من بعدنا الاحباب في العمر
بدلت ثوب العرس في كفن ... ووسادة الديباج بالحجر
قضت الشرائع في تفرقنا ... واليوم تجمعنا يد القدر
واستل خنجره فاغمده ... في مرجل بالياس مستعر
فقضى وراح وفاؤه مثلا ... ما بين جمع الناس والبصر

في ساعة مرض ويأس

نظم هذين البيتين وهو مريض يستشفي من داء ألمّ به في مدينة توازوبوليس
عام ١٩٢٦

أداءٌ واغترابٌ ليت شعري ... لو اجتمعا على جبل لذابا
وشوق تنتهي الدنيا ويبقى ... وراء القبر يلتهم الترابا

والبيت الاخير من ابلغ واروع ما قيل في الشوق

ادعياء الشعر

ومن نكد الدنيا على الشعر انه خوان لابناء السبيل خصيب
كأني به بيت على رأس قمة تهبّ عليه شمال وجنوب
يطوف بـه قوم يظنون انه رموز عن المعنى الفصيح تنوب
ورب قريض كان مقراض مسمع وربّ غناء اين منه نعيب
لعمري ليس العبقرية سلعة تباع وتشرى ـ فالاديب اديب
فكل رجاء ضائع في اقتناصها وكل لجوء للذيوع يخيب
ولا تجهدن النفس في باطل الثنا فكل اصطناع للثناء معيب

• • •

وقد تخصب الأيام جيب أخي هوى على حين ان الرأس منه جديب
وهيهات يؤتي الشعر من لم تحلّه مواهب فيها للنبوغ دروب
بربك هل قامت على الحق دعوة وشاهدها رجس الإزار كذوب
وهـل يستر الوجه الدميم تبرج وهل يبعث الميت الرميم طبيب

• • •

أرى الشعر ينبوعاً من القلب دافقاً وريحاً لها بعد السكون هبوب
يجمّله فن وفكر مجدد وذوق بالوان الحياة خضيب
فان فاته مما ذكرت قلادة فليس له عند الخلود نصيب

بين دمعتين

نظم هذه القصيدة على اثر نهاية الحرب الاولى ١٩١٩

رف السلام على ارجاء لبنان
من لي اطير الى امي واخواني

عهد المظالم لاجادتك هاطلة
كم اقفرت من كرام فيك اوطاني

كأنني يوم باتو للردى هدفاً
مستنزف مهجتي من بين اجفاني

دارت عليهم رحى الايام وانصدعت
دعائم الشمل من صحب وجيران

وبات كل اخ فيهم على سغب
افدي بروحي منهم كل غرثان

ما كان يدهمهم خطب بليلتهم
حتى يباكرهم في صبحهم ثاني

تمر بالناس صرعى في منازلهم
مثل الدمى بين انقاض وجدران

قد مزق الجوع احشاهم ولو شبعوا
لاشبعوا الوحش من جند ابن عثمان

يا آل طوران والايام جامعة
لا بدّ ان نلتقي يوماً بميدان

ما العز تطويقنا بالجوع تسعفكم
من الجراد جيوش مثل طوفان[1]

العز ان نلتقي في جوّ معركة
سيفاً بسيف وفرساناً بفرسان

اذن لشمتم بنا ما لم تحدثكم
بـــه الاساطير عن جن وغيلان

ان السيوف التي حزت غلاصمكم
في الامس لما تزل تندى بغمدان

والاربعين الألى ساقت جحافلكم
سوق الزرازير قد ريعت بعقبان

اشباحها لم تزل في الترب مفزعة
اشباح اجدادكم يا آل طوران[1]

• • •

١ – جيوش الجراد التي هاجت لبنان سهوله وجباله فالتهمت ما في ذلك الوطن من محاصيله فحل به القحط وحاربه الترك وقطع عنه القمح من جيرانه فــات من ابنائه مئات الالوف جوعاً وذلك خلال الحرب العالمية الأولى – وقد القى الشاعر هــذه القصيدة في المهرجان الكبير الذي اقامته الجالية اللبنانية في عاصمة الاتحاد البرازيلي عــلى اثر جلاء الاتراك عن لبنان . والاربعين .. يعني بهم رفاق يوسف بك كرم الأشاوس .

١ – يسائل الشاعر هضبات الشوف وفيها مركز حكومة السفاح جمال باشا في عاليه.

لله اربع انس طالما ازدهرت
في كل اصيد من شيب ومردان

قد علموا الجلد الأجيال واصدموا
كتائب الدهر أقراناً لاقران

وذللوا عقبات المجد في همم
شماء كل قصي عندها داني

تدفقوا هنتا في الارض صيبّة
فتحت كل شهاب الف لبناني

وزاحموا الطير في اوكارها غنماً
للرزق والرزق رهن السابق الجاني

ناموا على امل في النفس متقد
كأنه مرجل من فوق نيران

وحاربوا الدهر حتى لان ملمسه
وراح كل شهي قطفه داني

. . .

تلك المعالم لا زالت نضارتها
أمست عواطل من حسن وعمران

تكاد لولا طلول ثم دراسة
لا تستبين بها آثار انسان

كانت مساحب ازيال العلى فغدت
للهون مسحب ازيال واردان

بالله يا هضبات الشوف ما فعلت
في كسروان واهليه يد الجاني[1]

وكم تهدم من عالي مشارفه
يوم الوقيعة في ابني قعدان[2]

قد خططا للمعالي مسلكاً رحباً
فسار فيه جريئاً يوسف الهاني

وطاح كل كريم اثر صاحب
من مسلم غير هياب ونصراني

ان فرق الحكم فيما بينهم قدما
فالنطع الف منهم خير اخوان

• • •

لا أيّد الله شعباً من غرائزه
سفك الدماء على ظلم وعدوان

---

١ — يعني بهضبات المجد في كسروان صديقيه الشهيدين فيليب وفريد الخازن من كبار سياسي" لبنان في ذلك العهد ...

٢ — ابني قعدان هما فريد وفيليب الخازن انجال اللبناني الشهير قعدان بك الخازن ، ويوسف الهاني احد المشتغلين بالقضية اللبنانية الاستقلالية وسواهم من زعماء المسلمين والنصارى العاملين لاجل وحدة عربية وقد اشتهروا بعدائهم للاتراك ومن الصحفيين الذين استشهدو يومذاك المرحوم سعيد عقل مؤسس جريدة البيرق الشهيرة بمواقفها الوطنية ووالد فاضل عقل الاديب الكبير .

كابي ؟

خلوت بكابي ولا ثالث
ادغدغ نهداً والثم خدّ

واسمع من فمها ما يطيب
حديثاً تساقط مسكاً وند

وابصر في وجهها صورة
تعيد الى النفس حلماً شرد

فيا لك وجهاً كلون الرمال
علاه جبين بلون الزبد

اذا مرّ في ظله خاطر
رأيت شعاع العيون اتقد

---

١ – (كابي) غانية افرنسية كانت تقيم في عاصمة الاتحاد البرازيلي ريو جانيرو اعجب الشاعر بجمالها فنظم فيها هذه القصيدة ثم حذفها من ديوانه فعاد اخوه شكرالله واثبتها كذكرى من ذكريات الصبا عند الشاعر. لم ينظم على منوالها بعد قصيدة اليتيمة الا هي.. وفيها من دقة الوصف ما لا يجوز معه اغفالها .

وتفترّ ان تبتسم غمزتان
أقمن على شهد فيها رصد

وعنق كعنق الحمام وخصر
يروعك منه احتمال المشدّ

ونهدان فوقهما حبتان
من المسك يقطرن كالثغر شهد

وساقان مثل الرخام انفتالا
أعوذ الرخام يكون اشد

وبطن اذا خطرت يستدير
استدارة ردف فجزر ومد

تبسط عن ثغرة سفحه
تضيق مجالا بكل مسدّ !

. . .

وبعد ارتشاف كؤوس الهوى
وبعد جنون قصير الأمد

هويت أنتم واهي الحوس
كطفل على صدرها قد رقد

أيرجى الدوام لهذا النعيم ؟
فقالت بهزء .. أأنت ولد ؟

أليس الحياة نعيماً فبوساً
فقرباً فبعداً فوصلاً فصد

تمتع بهذا الجمال وحاذر
طموحاً اليه بطرفك غد !

فنحن الغواني كطير الفلاة
ينقر حيث الحبوب وجد !!

الوداع

القصيدة الوداعية التي نظمها الفقيد يوم أزمع الرجوع الى وطنه لبنان عام ١٩٢٨ فرأى اصحابه اقامة مأدبة اكرامية له ، ثم عرض ما حوّله عن السفر فبقيت مطويّة بين أوراقه حتى قضى الله بفراقه الابدي، فرأينا نشرها في هذه الحفلة التذكارية مع رسمه ورسم العمدة الاولى للنادي الفينيقي الذي ترأسه سنوات عديدة ليكون في ذلك للجالية صورة شاملة عن فقيدها الغالي الذي ترك فراغاً نشعر به افراداً ومجموعاً .

(نقلاً عن مجلة العصبة)

وداعاً أيها البلدُ الجميلُ
فقد أزف النوى ودنا الرحيلُ

وداعاً ليس يعقبهُ لقاءٌ
إذا بحشوش هشّت او جُبيلُ

ولستُ أعقُّ فضلك غير اني
الى وطنٍ ربيتُ به أميل

تغلغلَ حبّهُ في القلبِ حتى
تولاني من الحبِ النحول

وما انسى على شاطيك عهداً
مضى فكأنهُ حلمٌ جميلُ

تنوّعتِ الرؤى فيه فحاكى
كتاباً كل أسطرهِ فصول

فكم ذا أشرقت شمس الاماني
وكم غربت وقد غرب السبيل

تجاذب مركبي مدٌّ وجزرُ
وراوح مقصدي عجزٌ وحَول

فلم آسفْ على الإدبار يوماً
ولم يكُ لي بإقبالٍ حُفول

لعمركَ ليس يجدي النفس همٌّ
ومكثُ المرءِ في الدنيا قليل

وان تنهد لدهرك في قضاءٍ
فأيسرُ ما تروم المستحيل

. . .

على (الريو) ومن فيها سلامٌ
يضوع بعرفهِ النسمُ البليلُ

صحابي عهد إلفتنا تولّى
فلا كأسٌ تُدارُ ولا شمول

أغادركم وفي الاحشاء نارٌ
ابى اطفاءَها دمعٌ بسيل

وطعم البين ممجوج مريرٌ
اذا ما فارق الخلُّ الخليل

سأذكركم اذا الارز احتواني
غداً وأفاءَني الظلُّ الظليل

ومن لبنان آوتني جنانٌ
يموج ربيعها الزاهي الخضيل

تغنّيه الطيور على السواقي
فترقص في طيالسها الحقول

تسحُّ على الروابي السحب دمعاً
فتبسم عن ثناياها السهول

اذا نسمُ الاصائل جال فيها
فروح اللهِ لا نسمٌ تجول

حبا الرحمن لبناناً بحسنٍ
فريدٍ ما لروعتهِ مثيل

يدٌ قد كان جودّاً علينا
بها وعلى بني الدنيا بخيل

. . .

فوا شوقي الى فردوس عدن
قضى بفراقه طمعٌ وبيلُ

وددتُ لو ان جسمي قيد روحي
لكان من السفينة لي بديل

يكاد الشك يقعدني واخشى
بأن الدرب ما قصرت تطول

فخير مغانم الدنيا غريبُ
يتاح له الى الوطن القفول

. . .

سأنقل من تحاياكم عبيراً
زكيّاً تنتشي منهُ العقول

أردّد ذكركم للأرز حتى
أرى اغصانهُ طرباً تميل

أقول له بنوك بنود مجدٍ
وأسدٌ في مهاجرها تصول

مشوا متداركين الى المعالي
فما فيهم لدى الجلّى كسول

فإنْ يسأل متى عيني تراهم
أقفْ أسفاً واجهل ما أقول

مساجلة شعرية

قالت مجلة العصبة عندما زار للمرة الاولى الشاعر المبدع الاستاذ جورج صيدح عاصمة البرازيل عام ١٩٤١ احتفى به فريق من اصدقائه واقيمت له المآدب التي كان يجملها دائماً وجود فقيدنا الغالي عقل الجر بصحبة الضيف الكريم .

وفي احدى المآدب العائلية ، وبين الوتر والكاس انبثقت المساجلة الشعرية الاتية بين الاديبين الشاعرين :

قال صيدح :

سلام على الدار السخية بالقرى
تطيب الاماني في ظلال قبابها

ترحّب بالاحباب حول خوانها
تلاقوا وبالآداب ملء رحابها

بشاشة اهل الدار اشهى طعامها
ورقة (عقل الجر) اصفى شرابها

اذا الضيف وافاها اباحته صدرها
وما كان اهلاً للوقوف ببابها ...

فاجابه عقل فوراً :

اخا الشعر مرحى انك الان نازلٌ
بدارٍ يضيع الشعر الا ببابها

تحوطك فيها عصبة هزّ روحها
رنين قوافيكم وحسن انسكابها

ترى كل ذي شعر رقيق لها اخاً
وكل خطيبٍ بارعٍ من صحابها

وبعد فترة عاد عقل يخاطب صيدحاً :

خمرة من بابل الشعر اذا
ذاقها باخوس يوماً ما صحا

نحن منها لم نزل في سكرة
قدحٌ في الكف يتلو القدحا

يا لقومي (صيدح) في شعره
اسكت الطير فعاف الصدحا

انت صداح فقل لي ما الذي
حرّف الاسم فامسى صيدحا

فاجاب صيدح :

بارك الله بعقلٍ إنــه
نعمةُ الدهر على مَن نزحا

شعره المنُّ وهل نحن سوى
أمّةِ التيهِ تعاني البوحـا

يا اخي يكفيك من قبلي أخ
شرّف الفصحى وبزّ الفصحا

اسبل الستر على شعري فإن
تلفتِ الناس اليه افتضحا

صيدح ما كان إلا اخرساً
قلّد البلبل لمـا صَدَحا . .

ليلة أدب وطرب

قال الاستاذ جورج مسره في الحقل الادبي الذي كان يحرره في جريدة الاستادو في سان باولو : قدم الحاضرة الشاعر الكبير والتاجر الكبير الاستاذ عقل الجر فرحب به الفريق النابه من اخوانه الادباء وصفوة التجار والصحفيين وكانت لنا معه ليالي هي من اجمل الليالي كان فيها زينة محافل الادب وبلبلها الشادي مع زميله الشاعر القروي المشهور واجتمعنا في دار احد الاصدقاء ، وصدف ان ابنة صغيرة لصاحب الدار اخذت تتحبب الى الشاعر القروي مستعذبة صوته على نغمة الوتر والقروي عواد ماهر رخيم الصوت فانشد عقل مخاطباً الصغيرة .

رأيتك طفلة فغرست حبي بهذا القلب كي تقوي فيقوى
فما لكِ ان شدا القروي صوتاً هممتِ عليه ان تهوي فيهوى
كذا تتحولين وانتِ طفلٌ فمن انباك انكِ بنت حوا

فاجابه القروي على البديهة :

بربك لا تلم يا عقل طفلاً صغيراً كالملاك عليَّ الوى
فما في الحب كالتبغ احتكار ولا مثل الجمارك فيه رشوى
وقبلك في الهوى كم حار عقل فدع عنك الملام بدون جدوى

وما انتهى القروي من انشاده حتى خاطبه الجر قائلا :

لا يصدق الشعراء في دعوى الهوى والكذب محمود لهم مغفور

هو شاعر لا تعليقه وحاذري — هذا ابوك فسائليه — خبير
هو بلبل هبط الرياض عشية وغداً ينقر ما يشا ويطير

فاستشاط القروي غيضاً وقال :

ان تحذري من شاعر من تأمني فحذار ممن ليس فيه شعور
عاب القريض عليّ بلبله وكم عاب النظير لدى الحبيب نظير
فتخيري في الشاعرين لي الهوى وله الغنى والخام والمقصور

وحدث بعد ذلك ان البنت الصغيرة نامت فنهض القروي يهز سريرها مغنياً لها ، فبادهه عقل بالبيتين التالين :

ان هززت السرير منها جانب مكمن الحب طي تلك السريره
انها برعم فلا تك ريحاً واتقِ الله في فؤاد الصغيره

فاجابه القروي ضاحكاً :

ليس بدعاً ان حركت نغماتي للهوى برعماً وهزت صغيره
انا رمز التغريد في الطير ما نا دمت روضاً الا فتنت زهوره
ومثال الحنان في الام ما ناغيت طفلاً الا هززت شعوره

يا عقل

هي القصيدة التي رثى بها شكرالله شقيقه عقلاً
يجعلها خاتمة الديوان

أموسداً كبد الثرى أفديك من متوسّدِ
هيهات أعرف بعد يومك أين يومي من غدي
سلوايَ اني لست بعدك يا اخي بمخلّد

. . .

هذي أراجيح الظلال فنم هنيءَ المرقدِ
تحنو عليك غصونها بمزقزق ومغرّد
في خاطر الايام قبرك في جبين الفرقد
في ذا المدى الرجراج من هذا الوجود السرمدي
زخرفْ وجمّلْ ما تشاء من القبور وجوّد
دنيا الخلود – هي الضريح لعبقريّ المولد

أفلا ترى حجراً تدحرج في الدجى عن ملحد
عن شعلة الحق المضيء عن الرسول الاوحد
عن سيّد الشعراء طراً عن ربيب المذود
فمشى كنور الشمس يجتذب الشعوب فتهتدي

. . .

يا عقل — ما يجدي عليك توجّدي وتهجدي
قسماً بروحك ما ادخرت عليك جهدة مجهد
أوّاه لو ُقبلَ الفداءُ — وجاز سؤل المقتدي
لقسمت ما بيني وبينك ما تبقّى من غدي

. . .

يا من رعيت طفولتي وجعلت حضنك مرقدي
وسهرت من قلق لدى مرضي وزندك مسندي
وغفرت لي — عهد الشباب توثّبي وتمردي
أيام من شفق الجمـال وسحره المتجدّد
من مغريات الكأس فيه ووسوسات معربـد
أتناول الدنيا مزغردة بكفّيّ أمرد ؟!

علّمتني أدب اليراع وقلت بي لا تقتد
واحسرتاه – أفي اقتفاء خطاك ما لم يحمد
هل كنت الاّ الظرف في أدب شهي المورد
ادب تفجر عن خضم من شعورك مزبد
أدب تسربل من نسيجك بالأنيق الجيّد
نــثر تفرَّدَ في الجمال بسبكه المتفرّد
شعر تــلألأ كالضفائر في غدائر أغيد
ضحكت عرائسه الكواعب من عجائز أحمد
وانساب أجنحة على أفق الحياة الابعـد
وهفا أغاريداً على وتر الزمان المنشد
زين المجالس والمحافل – إن تقلْ أو تنشد
حاشا لطلعتكَ النبيلة أن تكون لسيّد
ورجولة عزّت على عصر مسيخٍ اجرد
أيُّ الخطوب وقد فقدتك يستحق تسهّدي
أي الكنوز – وقد خسرتك لا تجود به يدي
أي الرجال وقـد بلوتكَ في الملمّ المرعد
متحلياً بعقود إعجــابي وزهر توددي

لبنان مهد صباك - حنَّ بسفحه والأنجد
متسائلاً عن مشعل الوطنيّة المتوقد
وعن العقيدة والتجرّد في العقيد الأبّد
الابيض المصقول لليوم العصيب الاسود
أقوى العرين فللثعالب ضجّةٌ المستأسد
وخلا القراب فقلْ لأشباه السيوف تجردي

• • •

ماذا أقول لقلب أمي الواله المتوجد
ما انفكَّ طيفكَ نصب عينيها يروح ويغتدي
في أمسياتِ الصيف في صور الغروب المكمد
في غرة القمر المطل وفي الدجى المتلبد
في مسرح الكون المضجّ بناحب ومزغرد
في مرح الاضواء والالوان في دنيا الدد
وتكاد تسمعُ وشوشاتكَ في الصدى المتردّد
في هينماتِ الروضِ في صخبِ الرياح الشرّد
في زقزقاتِ الطير حولَ المنزل المستوحد
في غمغمات الموج تحت الزورق المتأود
في مركب آت وآخر للرحيل مزوّد

يفري الحشا بصفيره المتقطع المتعدد
وتحسُ وقعَ خطاكَ بين سريرها والمقعد
فتهبُ من شوقٍ للثم جبينكَ المتورّد
وتكاد من وهمٍ تهمُ بلمسِ شعرك باليد
واهاً لها – من جذوةِ الشوق التي لم تبرد
بردت براكين الجبال ونارُها لم تخمَد
يا باذل الوعد السخي لها – بعَودٍ أحمد
والموت يضحك من وعودك خلف باب موصد
ما زلتُ اكذبها بأنك في نعيم أرغد
وأنضّد الاخبار عنكَ طريفة لم تنضد
وتظلّ توهقني بأسئلةٍ تذيبُ تجلّدي
كم موعدٍ بلقاك ميمون البشائر مُسعد
جنّتْ لهُ فرحاً – ولم يصدق ولم يتأكد
ساعلتها وأعلّتها – بالعَود والعيش الندي
وأعلّتها – حتى يكحّلها الحمام بمروَد
إذ ذاك – يصدق موعدٌ – يا بئس ذاك الموعدِ

المرفع في الريو دي جنيرو

عاصمة البرازيل

لصاحب الديوان روائع في النثر كروائعه في الشعر وقد اشتهر بترسله البياني البديع وتفننه في القوالب اللفظية ومن اثاره الخالدة هذه القطعة نثبتها كانموذج عال للفصاحة وجمال التصوير قال رحمه الله :

لكل بلد من بلدان الله ميزة ينشز بها عن سواه . . . وميزة الريو ده جنيرو ما خلا موقعها الخلاب الساحر وجوّها اللازوردي الجميل وربيعها الضاحك المقيم ، مرفع بزت به فينيسيا ونيس ، وباتت مرمى ابصار السائحين ومأمّهم كلما دق ناقوس المرفع وحان مهرجانه .

تصاباني المرفع هذا العام على شدة نفرتي منه وطول عهدي به فرحت ازحم الواردين على حوضه ولا ادري اروح الشاعر الطروب القتني في غماره ام تلك سنة الطبيعة كلما امتدت بالمرء خطواته في الحياة راح يستعيض بما بين يديه عما فاته من متعها .

خرجت من منزلي وقد بدأت سدل الظلام تهبط على المدينة الراقصة فتجلوها مصابيح الكهرباء وترد اليها النهار المنهزم بشموس اشد تألقاً من شمسه ومن لي باجتياز الشوارع وقد سدت الناس على

الناس مسالكها وراحت المناكب تشد على المناكب كأنما هي الحرب دارت رحاها واعلولى ضوضاؤها .

انها حرب تخفق فوقها بنود السلام وتقرع لهـا طبول الانس والمرح وقد خاض غمارها ابو السنين الاشيب مع الفتى الطرير والعجوز الحيزبون الى جنب الفتاة الغضة الصبا . وما ادري ما استخف هذه الجموع والف بين اميالها حتى طفرت الى الساحات والمرابع مواكب تزجي مواكب وحلقات اخذ بعضها باطراف بعض كأنها طوائف الجن ضاق بها عبقر . وقد تفننت بالملابس والازياء والتبرج والتطرية حتى ليخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم او انك انتقلت الى المريخ او عطارد فوقعت على انسانيـة جديدة غريبة لا عهد لك بها على الارض وقد سادها الجنون او لعبت بها الراح فهي لا تني معربدة صائحة تتفجر عليها انغام الموسيقى فتنفجر حناجرها باهازيج تملأ سمع النجوم وتتمايل قدودها تحتها كأنها الاغصان تحت العواصف فمن ايد تنثر الذريرات المذهبة على الرؤوس — الى اخرى تتراشق الماء المضمخ بمرشات كأنهـا سهام « كوبيد » وترسل في الهواء شرائط ذات الوان تخالها اسلاك البرق تحمل همسات القلوب الى القلوب او رسلا تمهد لهذه الاضالع المرتجفة الشبقة وسائدها عند تلك . ثم تشتبك حول الاعناق وتنحدر الى قوارير الصدور . وكأن السيارات وقد علتها بدور الحسن اخذتها الرهبة فاتأدت في سيرها ومشت تتهادى كالهوادج تتمايل بها النوق فوق رمال الصحراء وقد أسكرها الحداء العذب والنغم الرخيم فما تسير خطوة حتى تقف اخرى ولعلها احست بحاجة العيون الى الاستمتاع فتركتها تتملى هذه الفترات السانحة من وصال الارواح .

وكان الى جانبي رفيق استطارته مشاهد المرفع فأبى عليّ الا المضي في تملي صفوها فطفقنا نرود اندية القصف الواحد تلو الآخر وقد اربى عديدها في المدينة على العشرين – فمن الاطلانطيك الى الاسيربو – ومن يخت لارنجـــا الى قصر الاعياد – حتى القت بنا الريح في – الهاي ليف[1] – وما ادراك ما هو الهاي ليف . . . هو قطعة من السماء على الارض لولا خروج ملائكته عن سنة الوقار ، ولكنه المرفع وللمرفع شريعته السمحاء ... هذا هو الهاي لايف . . . اعوذ بربي ابشر ما ارى ؟ اذن اين نظام البشرية وقواعد الاجتماع بل اين المصلحون ؟ اين الكاتب النقادة والحكيم الفيلسوف ؟ اين الشاعر الروحاني ؟ اين القضاة والمشترعون اين الزوج والزوجة – اين رجال الغد وامهات الجيل المقبل ؟ لقد سكروا كلهم بخمرة المرفع وغرقوا في تياره فما اوسع سماح الله وعفوه . . فاي قلب بشري لا يخلع عنه هم الحياة ويطرح حلة الوقار في هذا الجو المتموج الاثير بالانغام وبين هذه الانوار اللابسة حلل الازاهر في وسط هذا الضجيج العذب الفائض بين جوانح النفوس الظمأى الملتهبة . تالله ما اطيب سوانح الانس وما اعلق القلوب بلذاذات الحياة

اصخرة انا مالي لا تحركني
هذي المدام ولا تلك الاناشيد

هوذا القوم ينفضون عن اكتافهم غبار مشقات العيش ويلقون

---

١ – الهاي ليف – ويخت لارنجا والاسيربو – والاطلانطيك كلهـا من المقاصف الكبرى التي تتجمع فيها الطبقة العليا من اشراف العاصمة لتلعب الكرنفال .

احمالها الثقيلة اسمعهم يتغنون بنبرات سوية ونغم واحد كأنما حناجرهم اوتار شدت الى الة واحـدة و كأنما هم والحماسة تملك مشاعرهم جند يسير تحت سحر نشيده الوطني الى ساحة الشرف حلقات مشبوكة من السواعد و كتل مرصوصة من الاكتاف تميل بهـا نغمات الموسيقى والحان المغنين ميلان الرياش في اكف النسيم . هنا شيخ متهدم الاوصال تظنه فتى في ميعة العمر جاء يغالط الدهر ويسترشح السنين اخر قطراتها . .

وهناك رجل مريض شاحب الوجه تمشى به الداء حتى انهكه عز عليه ان يبقى وراءه فضلة في قارورة الحياة . وهنا عجوز شمطاء لم تزل تطالب الدنيا بقسمتها طلت وجهها وشدت خصرها ونزلت ساحة الهوى مع النازلين ـ وهناك فتاة كالزهرة الندية لم تكد تنشق كمامها ويتوثب نهداها دعاها المرفع فوقفت في ساحة « الهاي لايف » متلجلجة قلقة كمن يقف على شاطىء البحر خائفاً مرتجفاً ثم يسيخ به الرمـل فيهوي الى الغمر . وهذه غانية بارعة مجت مرارة الدنيا وجدت في كأس المرفع الطيبة ضالتها . . وهكذا جمعت المتعة الناس حول سماطها وقالت لهم : هي فترة وتمضي .

ما ترى يكون هذا الشعر الذي يتغنون بـه فيلهب جوانحهم بالحماسة وأي هو ذلك الخيال الذي اسر بـه الشاعر قلوب القوم وافهامهم فانطلقوا يرددون :

« كوكو ـ كوكو ـ كوكو ـ ان الديك اشتاق الى الدجاجة الرقطاء الخ . . . »

« بيارو العاشق قضى العمر مغنياً ولكن حب كولومبينا ادى به الى البكاء الخ ... »

« لماذا تشرب يا فتى ؟ اذا كان من اجل امرأة فقف .. لان ليس بين النساء واحدة تحسن الحب الخ » .

ولكن الموسيقى الهائجة المصطخبة والناحبة الشاكية لا يعنيها خيال الشعراء ولا تتقيد بمعانيهم فان لها خيالاً اسمى ومعنى ادق والنفوس اذا لعبت بها حمياً النغم طارت الى السبع الطباق .

خرجت من (الهاي لايف) والمدينة بامرها قد استحالت الى هاي لايف والناس تتدفق امواجها كأنها الاوقيانوس الزاخر وقد بدأ الفجر يرسل خيوطه الفضية فتلمع على جباه الراقصين والراقصات ازراراً مبلورة من الندى .

لقد تعب الليل فالقى بمهمته الى النهار – وسوف يتعب النهار فيترك الى الليل حراسة الكون . اما هؤلاء « المرفعيون » فلا يدب اليهم التعب قبل ان تدور الارض حول الشمس ثلاث دورات ويدخل المرفع في ظلمة التاريخ .

ريو جانيرو ١٩٣١ عقل الجر

(من كتابه « قناديل على الشاطىء » لم يطبع بعد)

فهرس

مطبعة المرسلين اللبنانيين
جونيه

قال الأديب الكبير الاستاذ حبيب مسعود في صديقه الشاعر :



لو تفرغ فقيدنا للادب وقد أوتي من فنونه الجميلة الشيء الكثير لخلق تراثاً أدبياً غالياً ولعله غبن بذلك امته ولغته اكثر مما غبن ذكره ..

وقال أيضاً :

أدب عقل الجر ان نثراً وان شعراً اناقة في اختيار الالفاظ ورشاقة في التعبير واصطياد المعاني كرشاقة الصياد الماهر في رمي طريدته . ولسان قوي العارضة رائع المنطق وخاطر مصقول كأنه المرآة نقاء وصفاء اما صورته الخلقية فهي مثال لصورته الادبية التي تمثل دون كد مطاوي خلقه وسرائر امره . فالعزة تتفشى في اسلوبه كما كانت تتجلى في طبعه وتلك العزة التي كانت تحسب ظاهرة تيه وكبر لم تكن في الواقع الا ترساً لكرامته وما كان اضنته بها .

مؤلفات الشاعر التي لم تطبع بعد : قناديل على الشاطىء رواية تمثيلية ـ المنصور او صبيحة وابن ابي عامر .